ديوان بنت الشاطيء
د. عائشة عبد الرحمن
جمع ودراسة نقدية

دكتورة/ مديحة جابر السايح
مدرس بقسم البلاغة والنقد الأدبي والأدب المقارن
كلية دار العلوم- جامعة القاهرة

مقدمة

د.عائشة عبد الرحمن، بنت الشاطيء، علم بارز من أعلام الفكر العربي الإسلامى فى العصر الحديث. حازت تميزها بتراثها الفكرى الأدبى والإسلامى، وبما أثرت به حياتنا الأدبية والإسلامية من كتابات متميزة. وبغير قليل من الجهد يمكن تصنيف هذه الكتابات إلى: تأليف علمى، وإبداع أدبى، و معارك فكرية، ومتابعات صحفية. وهى فى كل ذلك – أو فى معظمه – تمتلك يراعا باذخ السن، يحلق فى عال من أفق الأدبية وعمق الفكر وصدق القلب. ويأتى هذا البحث جمعا لديوانها وكشفا عن جانب غائب من جوانب شخصيتها، هو إبداعها الشعرى، الذى لم يلتفت إليه الكاتبون عن بنت الشاطئ – فى حدود ما أعلم – رغم كثرة ما تناولوا من جوانب حياتها العلمية العامرة فى عديد من المؤتمرات والندوات والدراسات.

تنقسم هذه الدراسة إلى قسمين: **الأول:** الدراسة النقدية لشعر بنت الشاطيء، **والثاني:** الديوان، مرتَّبَةً قصائدُه بحسب تاريخ النشر.

القسم الأول: الدراسة النقدية

الرؤية الشعرية عند بنت الشاطيء

تتناول الدراسة هذه الرؤية من زاويتين؛ حدود التجربة الشعرية، وسمات التعبير الفني عنها.

أولا: حدود التجربة الشعرية :

١-١ رغم الامتداد الزمنى لتجربة بنت الشاطئ الشعرية منذ العشرينيات حتى التسعينيات من القرن العشرين فإن رصيدها الشعرى يعد ضئيلاً إذا قيس إلى طول الفترة الزمنية من ناحية وإلى كثرة إبداعها الأدبى نسبياً فى مجال الرواية والقصة القصيرة من ناحية ثانية وإلى غزارة إنتاجها الفكرى النقدى والإسلامى من ناحية ثالثة.

١-٢ يمكن تقسيم مراحل تجربتها الشعرية إلى ثلاث: **الأولى:** الشعر الذاتي ويشمل المرحلة الأولى من إنتاجها الشعرى، التي تمتد من أواخر العشرينيات – وربما قبلها بقليل إذا اعتبرنا قصائدها الأولى غير المنشورة[1]- إلى أواسط الثلاثينيات حتى نهاية عملها فى مجلة النهضة النسائية التى كانت تقوم بتحريرها صيف عام ١٩٣٦. وأعني بـ"الذاتي":الشعر الذي يعبر عن هموم الذات من شكوى الغربة و الحنين ونزاعات النفس...إلخ. **الثانية:** شعر الرثاء: وقد جاء فى النصف الثانى من الستينيات ويضم قصائد رثائها زوجها الأستاذ أمين الخولى رحمه الله، وقصيدة رثاء للرئيس جمال عبد الناصر سنة ١٩٧٠. والمرحلة **الثالثة:** شعر المناسبات الإسلامية، وقد شهدته عقد السبعينيات خاصة. مع ملاحظة أن هذا التقسيم الزمنى ليس حاسمًا، إذ نشرت بعض قصائدها الإسلامية فى فترة الستينيات، كما أن بعض القصائد المنشورة فى

---

(١) ذكرت الشاعرة فى سيرتها الذاتية "على الجسر بين الحياة والموت" ص٦٤ قصيدتين لها الأولى بعنوان "الحنين إلى دمياط" مطلعها :

دمياط حبك حركت أشجانه آلام قلب فى الغرام مصفد

والثانية بعنوان "زوجة الصياد" كانت قد ألقتهما على لجنة الامتحان الشفهى لشهادة المعلمات. وقد نشرت الثانية فى مجلة النهضة النسائية ع٩ سبتمبر ١٩٣٢ ثم نشرت فى مجلة الأسبوع فى عدد نسائى خاص رقم ٢٤ الأربعاء ٩ مايو سنة ١٩٣٤. أما القصيدة الأولى فلم أعثر عليها فى مجلة النهضة النسائية رغم إشارة واردة فى أرشيف جريدة الأهرام إلى أنها منشورة بها.

فترة السبعينيات أعادت نشرها فى الثمانينيات والتسعينيات. كما يلاحظ خلو عقدي الأربعينيات والخمسينيات من القصائد الشعرية فى حدود جهد هذا البحث.

١-٣ يغلب على قصائد المرحلة الأولى من تجربة بنت الشاطئ الشعرية مضمون الغربة والقلق الذى يتولد عنه زهد كامل فى الدنيا واغتراب كامل عن الناس، فى نغمة صوفية عالية ترى الحياة زيفا واغترار الناس بها حمقاً، باحثة فى قلق عن المصير، متسائلة إذا كان الخلق من تراب والمآل إليه والعجز عن إدراك كنه الحياة سنة ماضية فى البشر فلم التعلق بالدنيا؟ تقول فى قصيدة "لست أدرى"[١]:

اتركونى فى دموعى فهى لى وحدى عزاء
ودعونى أنشد الوحدة فى بطن الخلاء
هذه الدنيا ضلال فى ضلال وشقاء
أحسبتم أنها دار الأمانى؟ لست أدرى

ومما يضاعف الشعور بالغربة والقلق بعدها عن موطنها دمياط، واجترارها الدائم ذكريات ملعبها الأول ولياليه الساهرات وما نعمت به من ضحك وعطف وحب وهدوء وجمال، فتشكو آثار الغربة على نفسها وما أورثتها إياه من شرود ويأس وبكاء و ذبول يعجب له الناظروها وهم لا يفهمون معنى هذا الحب الكبير لمغناها المفقود. تقول فى قصيدة "وحى الشاطئ"[٢]:

فقدت ببعدك يا مهجتى فؤاداً قوياً كثير الظفر
وبؤت بقلب به حرقة ودمع كثير الجوى منهمر
ووجه عبوس به بسمة كمثل المريض إذا ما احتضر
وطرف شرود كثير الأسى إلى الأفق دوماً يطيل النظر
يفتش فى الجو عن مأرب خفى ويخشى ضلال الأثر

(١) نشرت بمجلة النهضة النسائية ع ٧ يوليه ١٩٣٢م صفر ١٣٥١هـ – السنة العاشرة – ص٢٤٤.
(٢) نشرت بمجلة النهضة النسائية ع٩ سبتمبر ١٩٣٤م السنة الثانية عشرة ص٣٠٧.

وتعبر الشاعرة عن هذا المضمون نفسه فى قصيدتين تحملان قالبا قصصيا، الأولى قصة فتاة شاردة النظر فى الفضاء تحمل آلامها مع هدوء الليل وانتشار ضوء القمر، سمعت صوتاً ضعيفاً استبانته فإذا هو صوت عصفور صغير يئن، فأسرعت تبحث عن مكانه فوجدته فى عش بين الغصون فأخذته بين يديها تهدهده وتناجيه أنها لن تؤذيه بل ستفيض عليه حناناً ورعاية حتى يشتد عوده ثم تتركه حراً طليقاً، باذلة له فى الختام العهد بذلك[1].والقصة الثانية لزوجة صياد خرج للصيد ففاجأته الرياح والعواصف والثلوج وتهدده الموت فلم يرجع، وظلت هى تنتظره فى خوف وقلق ولهفة ووحدة:

ستمضى الليالى وإنى هنا بمثل مكانى حتى يعود

ستمضى الليالى ببطء وما أبارح حزنى حتى يعود

أود السهاد ليقضى على حياتى كفعل الهلاك المبيد

وأرجو التعذب فى وحدتى لأودع حبى سجل الخلود

وإذا كان الشاطئ يمثل بؤرة شعورية فى نفس عائشة عبد الرحمن، نسبت نفسها إليه فى توقيعاتها التى كانت تذيل بها مقالاتها تقية لغضب والدها الشيخ أن ينشر اسم ابنته فى الصحف والمجلات فإنه يمثل بؤرة شعرية كذلك، إذ جعلته عنواناً لأطول قصائدها ولبعض مقطوعاتها الشعرية وهو "وحى الشاطئ". تنطلق منه للذكرى واستعادة الأحداث بكل مراراتها وآلامها، تقول فى إحدى المقطوعات الشعرية[2]:

كان حلماً كاد بالعقل يغيب يا فؤادى فانج من هذى السموم

قرب المجهر من أمس قريب واقرأ الدارس من تلك الرسوم

هل ترى فى الأمس قط ما يطيب؟ كله يأس وبؤس وهموم

٤-١ أما شعر الرثاء والذى يمثل المرحلة الأثرى فنياً من تجربة بنت الشاطئ الشعرية فقد كان رثاء الزوج هو الموضوع الأساسى له، فضلاً عن قصيدة

(1) قصيدة "الحنان" نشرت بمجلة النهضة النسائية ع٥ مايو ١٩٣٢م – ذو الحجة ١٣٥٠هـ – السنة العاشرة ص١٤٩.

(2) نشرت هذه المقطوعة بمجلة النهضة النسائية ع ١ يناير ١٩٣٥ ص١٣.

رثاء للرئيس جمال عبد الناصر أقل فنية من قصائدها فى رثاء زوجها. فى قصائدها الخمس فى رثاء زوجها: رؤيا، بعد عام، أغنية للذكرى، كلمات للذكرى، وعود على بدء[1] تغلب عليها نغمة اليأس والتمزق فتنعكس على معجمها الشعرى حيث تتكرر فيها مفردات مثل: سهاد – عذاب – بؤسنا – نأسو جرحنا – يأسنا – الضيق – أظلالنا – دمن – وجوم – شجن – حطام – أشلائنا – الشجى – الجوى – يكوى – نصطلى – جمراً – الوحشة – الدجى – الظلمة – أكفانا – المر – الموت – السراب – ضباب – وهم عقيم – حلم رهيب – دمار – اكتئاب – ملالة ... الخ. تجسد الشاعرة غلبة الذكرى على نفسها حتى إنها تراها فى غفواتها وتلمس تغيرا ما حولها بلمسة شفيفة من يد الحبيب الراحل، تقول فى قصيدة "رؤيا":

طيف من أحببته طاف بنا فتنبهنا على وقع خطاه

خلته قد آب من رحلته مرهف الشوق وقد طال سراه

.....

رُدت الروح إلى أشلائنا وسرى فى قلبنا نبض حياة

لمحة من ناظريه بددت ما كسانا الليل من ثوب عماه

لمسة ساحرة من كفه عاد منها الكهف محراب صلاة

وتتساءل الشاعرة تساؤلها المؤلم الذى يمتد فى شعرها وعبر سيرتها "على الجسر": كيف مضى وبقيت؟ منتظرة دائماً لحظة اجتماع الشمل فى عالم الأرواح، تقول فى قصيدة "بعد عام":

ومضى عام وما زلتُ هنا أتقل الخطو على الجسر إليك

مرت الأيام تغذونى الجوى كيف لم أهلك أسى حزناً عليك

---

(1) نشرت الأولى بجريدة الأهرام بتاريخ ١٩٦٦/٨/١٣ بعنوان جانبى (نشيد مبتور) مهداة إلى الشاعرة ملك عبد العزيز – ونشرت الثانية بجريدة الأهرام بتاريخ ١٠ مارس ١٩٦٧ بعنوان: فى الوجود والعدم (كلمات مبعثرة) ونشرت الثالثة بجريدة الأهرام بتاريخ ٢١ مارس ١٩٦٩ والرابعة نشرت بالأهرام أيضاً بتاريخ ٢٦ مارس ١٩٧١، والخامسة بالأهرام بتاريخ ٢٥ يونيه ١٩٧١.

طيفك الماثل يحدو خطوتى نحو مثوى لك دان وبعيد

هاتفاً أن أحتمى فى وحشتى بيقين الملتقى خلف السدود

لحظة تأتى فتُنهى محنتى بالتئام الشمل فى دار الخلود

وتؤكد للراحل أنها باقية على العهد رغم مكابدة الصبر، ومغالبة التمزق، والتجمل بالتماسك أمام الآخرين ، تقول فى قصيدة "أغنية للذكرى":

لا تخل أنّا على مر الزمن قد عرانا الضيق من أطلالنا

أوعيينا ببقايا من دمن لا تنى تبكى على ماض لنا

سائلات فى وجوم وشجن أين مغنانا الذى كان هنا

وتعلو نغمة الأسى واليأس رغم تقدم الزمن، متجاوزة رثاء من رحل إلى رثاء النفس بعده، تقول فى قصيدة "كلمات للذكرى" وهى الأعلى فنياً فى قصائد الرثاء جميعاً:

أى مرسى لغريب زاده يأس وقهرُ

كلما نادى أُجيب : غيَّب الملاح قبرُ

ليس يرجى أن يئوب، فإلى أين المفر؟

.....

فاسْر فى التيه فلا ضوء ذبالة

يستوى ليل وفجر

واشرب الكأس ولا تُبق ثمالة

يستوى حلو ومر

وفى تحول كامل إلى رثاء النفس الممزقة فى دروب الضياع يلوح وجه الوطن فى خيالها المغترب عنه، فتبعث فيها الروح والألم معاً. تقول فى قصيدة "عود على بدء" التى تبدو تكملة لقصيدة "كلمات للذكرى" فى دلالتها وبنائها الفنى والموسيقى:

كلما قلنا اكتفينا بالذى قد كان من وهم السراب

ومع التيه سرينا فى كهوف من ظـــلام وضـــباب

واستوى ليـــل وفجـــر، واســـتوى أمـــن وذعـــر

عـــــادت الـــــروح فـــــشدتنا إليهـــــا

بوثـــــــاق مـــــــن حنـــــــين وولاء

وأتانـــــا صـــــوتها عبـــــر الخـــــواء

ملـــــؤه شـــــجو ولـــــوم وعتـــــاب

فاشـــــــرأبت نحوهـــــــا أرواحنـــــــا

وكأنـــا ماغتربنـــا، وانـــسحبنا وانتهينـــا

أما رثاؤها الرئيس جمال عبد الناصر[1] فتبدو فيـه الـشاعرة ممتلئـة الـنفس بتعظيم الرئيس الراحل الذى كان تجسيداً لرؤى تاريخ لهذا البلد العظيم، فكانـت حياتـه زاخرة نبلاً وعطاءً، ثم مضى شهيداً مخلفا وراءه أمة ثكلى بفقده، تقول:

جاء تحقيقا لذاتك

بعد وهم أقنع الدنيا بعقمك

****

جاء يرضى كبرياءك

ويداوى جرح قهرك

فملات العين منه والضمير

ثم سلمت إليه كل ما خفت عليه

من تراث ووجود ومصير

وتجلى فيه كل ما أعطيته

من شموخ الكبرياء ... وجلال الأصلاء

وصمود الثائرين الشرفاء

ويقين المؤمنين الاقوياء

****

(1) القصيدة بعنوان "أمتى : الله لك" نشرت بجريدة الأهرام بتاريخ أول أكتوبر ١٩٧٠.

٥-١ أما الإسلاميات فى شعر بنت الشاطئ فتتميز بخاصيتين بارزتين :

الخاصية الأولى: توظيف المناسبات الإسلامية دلالياً للانطلاق منها إلى هموم الأمة العربية الإسلامية جامعة فى سياق واحد بين ماضيها المجيد وحاضرها الكئيب. فقد تناولت فرحة رؤية هلال شهر رمضان، وشاركت الحجاج وقفتهم الإيمانية بعرفة ،وتغنت بالعيد، كما تغنت بقدوم المولد النبوى الشريف. وهى فى كل ذلك تستجلى مشاعر المؤمنين وإشراقاتهم النفسية فى هذه المناسبات العظيمة. كما لا تغفل التفاصيل الدقيقة لهذه المناسبات فى حياة المسلمين مثل فوانيس رمضان بهجة الأطفال فى أيامه الحافلة، ومثل مراسم وداع الأهل والأحباب للحاج إلى بيت الله الحرام واستقبالهم إياه متشوفين إلى حكاياه عن البقاع الطيبة وإلى هداياه من ماء زمزم وعطر طيبة وتمر يثرب، تخرج من هذه التفصيلات الصغيرة إلى جرح الوطن، طاوية المكان، تنظر إلى الواقفين يؤدون فريضة الحج، والصامدين يؤدون فريضة الجهاد. تقول بنت الشاطىء على لسان فتية الحجارة متوجهين برسالتهم إلى حشود الحجيج[١]:

أهلنا الحجاج
معكم نحن وإن كنا هاهنا أو هاهنا
نرجم الشيطان جمراً من غضب
ونلبى : الله أكبر،
حيث يختال صهيون ويزأر
فى حمى القدس ويافا والخليل
فوق جرزيم وجولان، على سفح المكبر
ويرانا حفنة من نفايات البشر
فاذكرونا أهلنا، اذكرونا فى منى
وعلى عرفات لا تنسوا الدعاء

(١) نشرت هذه القصيدة أربع مرات فى جريدة الأهرام، الأولى فى ٢٨ يناير ١٩٧٢ بعنوان "رسالة العيد" (من جنود الجبهة إلى حجاج بيت الله الحرام) والثانية فى ٢٦ يوليه ١٩٨٨ بنفس العنوان "رسالة العيد"، والثالثة فى يوليه ١٩٩٠ (من فتية الحجارة إلى حشود الحجيج) والرابعة فى ٢٣ مايو ١٩٩٦ (رسالة إلى شهود الموسم من أبنائنا شباب الأمة فى معركة صراع القيم وتحديات وجود ومصير).

بلغوا عنا الحبيب: أننا نرعى حماه

ونؤدى فرضنا

طاوية المكان مرة أخرى، تنظر إلى الآمنين الآنسين برمضان فى قراهم ومساجدهم وإلى المحرومين الخائفين المشردين عن أوطانهم، تقول فى قصيدة "هل هلالك"[1]:

أين يا رمضان أنس الملتقى

فى لياليك الخوالى النيرات

أين منا القدس يا شهر الهدى

أين سينا؟ أين يافا والخليل؟

والضفاف الطيبات العامرات

أين ما فيها جميعا من قرانا والمساجد

والمآذن والمنابر، والمسامر والمشاهد

وحشود الساهرين العابدين؟

أين أحلام الصبايا وأمانى الشباب

وفوانيس الصغار الهازجين السعداء

أين أهلونا بها والنازحون الغرباء

فى خيام اللاجئين البؤساء

وسجون الشرفاء الأبرياء

وقبور الباذلين الشهداء ؟

وتناجى الشاعرة ليلة المولد النبوى الشريف أن تفيض على الأمة هداها فقد ضلت الطريق، وأن تمنحها سناها فقد أحاطت بها الظلمة من كل مكان، وأن تبعث فيها وحدتها بعدما تفرقت أشلاء مزقا؛ تقول فى قصيدة "دعاء"[2]:

ليلة المولد ما غاب الدليل

حادى الركب إلى شط النجاة

إنما تهنا وأخطأنا هداه

فتشردنا حيارى ضائعين

---

(1) نشرت بجريدة الأهرام فى ٢٧ سبتمبر ١٩٧٣.

(2) نشرت بجريدة الأهرام بتاريخ ٢٧ أبريل ١٩٧٢.

نخبط العشوا على غير سبيل
وتمزقنا فلولا عن يسار ويمين
نمضع الأوهام نستجدى الحياة
ملء دنيانا دماء وركام
من ضحايا للمذابح والمجازر
والبقايا زادهم قهرٌ وحسرة
فانسخى يا ليلة النور الظلام
لا تمرى خطبة فوق المنابر
أو نشيداً فى الحناجر
دونما درس وعبرة

الخاصية الثانية: حضور فلسطين دائماً فى قصائدها الإسلامية :

تمزج بنت الشاطئ فى رؤيتها الشعرية بين الحرم وفلسطين، بين جبل عرفات وجبل المكبر، بين حشود الحجيج الواقفين يوم عرفة وجموع المجاهدين الصامدين فى وجه الاحتلال الصهيونى. فبالإضافة إلى النموذجين الأسبقين تقول فى قصيدة مطولة بعنوان "أغنية للعيد"[1] فى قسمها الثانى "من ذرا عرفات إلى سفح المكبر"، بعد وصف الحجاج الخاشعين فى عرفات وحناجرهم تعلو بالتلبية معلنين إخلاصهم التوحيد والعبادة لله وحده:

وعلى سفح المكبر، عند أولى القبلتين
ثالث الأقداس صنو الحرمين
فى جوار المهد من أرض السلام
نشر الشيطان طاغوت الظلام
ومضى يعوى ويزأر
وتوارى القدس فى جوف الدجى

(1) نشرت هذه القصيدة ثلاث مرات فى جريدة الأهرام، الأولى بعنوان" أغنية للعيد" بتاريخ ٢٨ -٢-١٩٦٩ أولها: " عيدنا كان على طول المدى"، و الثانية فى العام ١٩٧١- فى غالب الظن- بعنوان " من ذرا عرفات إلى سفح المكبر" تبدأ بقولها: " من فجاج الأرض حجوا عابدين" و تنتهى بقولها: "ينشر الشيطان طاغوت الظلام و يعربد"، و نشرت الثالثة كاملة تشمل القسمين معا أولهما القسم الثانى: " من فجاج الأرض....." بتاريخ ٩ أبريل ١٩٩٨ بعنوان :"أغنية للعيد" مع بعض تغييرات أحدثتها فى الصورة الأخيرة من إضافة و حذف و تغيير لبعض الكلمات، و لذلك وصفتها بأنها قصيدة مطولة و أثبتها بالعنوان الأخير الذى نشرت به.

بائس الأطلال محجوب السنا
يسأل الأنقاض : أنى الموعد
ليطل الفجر من ذاك الخراب
أين مسرانا وأين المعبد ؟
ثم لا رد سوى رجع الصدى
وعواء الوحش من مرعى الذئاب
وعلى المهد المسهد
غصن زيتون يتيم
وبقايا من هشيم

وتقول فى قسمها الأول بعد أن استعرضت انتصاراتنا التى وعاها التاريخ فى عين جالوت ومرج دابق والجزائر :

عيدنا اليوم جهاد وغضب
يرفض الأنس ويجفوه الطرب
جرحه ينزف من جرح الحمى
فيحيل الشهد مراً علقماً
وطأة السفاحين أعداء البشر
دنست أرض الرسالات الكُبر
شوهت وجه الحياة
مسخت كل القيم
واستباحت حرمة الإنسان فى قدس الحرم

ثانيا: سمات التعبير الفنى:

اتسم التعبير الفني لبنت الشاطيء بعدة خصائص هي: تراوح الصورة بين البساطة والتركيب- الاستمداد- التكرار.

١-٢ تراوح الصورة بين البساطة والتركيب:

مثلما تميزت حدود التجربة الشعرية لبنت الشاطيء زمنيا وموضوعيا فقد تميز تعبيرها بالصورة أيضا وفق هذا التقسيم:

ففي مرحلتها الشعرية الأولى، مرحلة الشعر الذاتي، اتسم تشكيل الصورة الفنية بالبساطة التي تصل إلى حد الضعف والركاكة أحيانا. نجد هذا في

قصائدها: إلى زعيمة الشرقيات– زوجة الصياد– وحي الشاطئ– الحنان– لست أدري. وإن لم تخل بعض هذه القصائد من نفحة فنية في تشكيل بعض الصور كما في " وحي الشاطئ"، في قولها:

ينادي الغياث فترنو له عيون الهلاك بلحظ الوعيد

حيث صورت في استعارة مرشحة تربص الهلاك بالصياد بحيوان مفترس له عيون تتصيده متوعدة بالموت.

وفي مرحلتها الشعرية الثانية، في رثاء زوجها، بلغ تعبيرها الفني بالصورة غاية نضجه، سواء في الصور البيانية المفردة أو المركبة أو في الصورة الممتدة التي تشكل مشهدا شعريا حيا ناميا يحكم بناء النص كله، كما في قصيدتها "رؤيا".ففي هذه القصيدة تقدم صورة كلية للكهف مبنية على التشبيه، تؤطّر بها مرثيتها، تقول فى أولها:

فطوانا الليل فى كهف الأسى نحتسى الوحشة من كأس دجاه
شدونا نوح غراب ناعق و الندامى البوم من قاع فلاه
جثمت فى الكهف لا تبرحه و اطمأنت بعد أن سدت كواه
وانكفأنا فى غيابات الدجى نغزل الظلمة خيطا لا نراه
و نسجنا منه أكفانا لنا حين لم يبق لنا خيط سواه
و انزوينا فى مهاوى كهفنا عافنا الموت و عافتنا الحياه

و بعد تفصيلات رؤيا الحبيب العائد وكيف استقبلته وكيف تشاكيا ثم صحوها على تلاشى هذه الرؤيا تقول:

و إذا نحن كما كنا هنا فى قرار الكهف لم تفتح كواه
نلعق المر و نقتات الجوى عافنا الموت و عافتنا الحياه

هذه الصورة للكهف تتكون من عدد من الصور الجزئية، بعضها صور مركبة، تنسج جميعا صورة الكهف الكلية و دلالتها من الوحدة والحزن والوحشة واليأس:

- فالصورة المركبة " كهف الأسى نحتسى الوحشة من كأس دجاه" تتكون من عدد من الصور الجزئية، أول هذه الصور التشبيه فى التركيب الإضافى " كهف الأسى" فالأسى كهف طويت فيه، و الصورة الثانية الاستعارة في" نحتسى الوحشة" فالمجاز فى جعل الوحشة مشروبا يحتسى ، و الاحتساء

الشرب ببطء جرعة بعد جرعة و شيئا بعد شيء، ففيه مزيد إمعان فى معاناة الوحشة. و الصورة الثالثة التشبيه في" كأس دجاه"بهذا التركيب الإضافى الذى يشير إلى مادة الكأس فهى ليست من فضة أو زجاج لكنها من دجى.هذه الصور الجزئية تتضافر فى تشكيل دلالة الصورة المركبة لِجاثمةٍ فى الظلمة تعانى الأسى و الوحشة.

- الصورة الثانية تشكل دلالة اجتماع الشؤم و اليأس عليها من كل جانب، من خلال عدد من الصور الجزئية أيضا، فشدوها نوح غراب، و نعيق الغراب – بدلالة التشاؤم المرتبطة به فى ثقافتنا– ليس نعيقا فحسب بل نعيقا ممتزجا بالنواح، حيث يجتمع الشؤم والحزن. ثم هذه الصورة المخيفة لجلسائها فى الكهف، بوم سدت كل منافذ الضوء والخروج فى الكهف، واستقرت فيه مطمئنة– بدلالة الشؤم المرتبطة بالبوم أيضا فى ثقافتنا. ثم تؤكد ملازمة هذا الشؤم لها بثلاثة أفعال متتالية: جثمت – لا تبرحه– اطمأنت.
- ثم هناك الصورة المركبة :" نغزل الظلمة خيطا لا نراه، ونسجنا منه أكفانا لنا"، التي شكلتها الشاعرة من الاستعارة "نغزل الظلمة"، ثم رشحتها بجملة "ونسجنا منه أكفانا لنا"، فالظلمة المحيطة بها من كل جانب" غيابات الدجى"– و ما فى كلمة "غيابات" من دلالة الظلمة العميقة كغيابة الجب– صورتها مع دلالة الوحشة و الوحدة السابقة كأنها خيط تغزل منه أكفانها، و كأنها تزجى وقتها بكل ما فيه من ملالة و قتامة .ثم دلالة الفعل"انكفأنا" التى تصور هيأتها فى هذه الغيابة المظلمة منكبة على وجهها وحدة و حزنا وضعفا.

هذه الصورة الكلية للكهف تتكرر فى ختام القصيدة بعد أن استفاقت من رؤاها فإذا هى لم تبرح الكهف المظلم ، منزوية تلعق المر و تقتات الجوى– و كلاهما استعارة ترشح الصورة السابقة لتضيف إلى الظلمة و الوحشة و الوحدة و اليأس المرارة و الحزن الدائم.

هذه الكثافة التصويرية المكتنزة التى تبدأ بها القصيدة و تختمها بها ، بالإضافة إلى تكرار التعبير الشعرى الجميل: "عافنا الموت وعافتنا الحياة" فى ختام القصيدة ، كل ذلك نسج القصيدة كلها قطعة فنية متماسكة البناء والدلالة. وهى من النمط العالى فى

الشعرية، بل يمكن القول أنها تمثل ذروة المستوى الفنى الذى بلغته بنت الشاطىء فى كل تجربتها الشعرية.

أما في مرحلتها الشعرية الثالثة، في فترة السبعينيات، التي غلب فيها شعر المناسبات الإسلامية، فقد جاءت الصور البيانية أقل كثافة ونضجا من المرحلة السابقة، حيث تشكلت من تشبيهات واستعارات مفردة ومركبة ، لم تخل أحيانا من الابتذال والركاكة. من جيد هذه الصور:

غصن زيتون يتيم وبقايا من هشيم– كهف الرقود– سراديب الخواء– أيام شحيحات عجاف– عصور المجد والليل الطويل– نمضغ الأوهام– المعاني شبه صماء عقيمة....إلخ

٢–٢ *الاستمداد*:

من الأدوات الفنية التى توظفها الشاعرة فى قصائدها بوضوح ظاهرة الاستمداد، وأعني به مفهوم "السرقات الشعرية" في اصطلاحنا البلاغي القديم، ومفهوم " التناص" في الاصطلاح النقدي المعاصر.

يتسع مفهوم "الاستمداد" لعدد من المصطلحات الفرعية كالاقتباس ويعني: الاستمداد من القرآن الكريم والحديث الشريف، والتضمين ويقصد به: الأخذ من شعر الغير بيتا كاملا أو مصراعا بنصه أو جزءا من البيت. ويتفرع كل مصطلح من هذه المصطلحات إلى مصطلحات أخص يحدد كل منها نوع المأخوذ لفظا أو معنى أو هما معا، ودرجة الأخذ نصا أو مع تغيير وتبديل في المعنى أو في الصياغة[١].

هذا التنوع والتعدد فى ظواهر الاستمداد وصوره يجعل منه أداة تعبيرية خصبة فى يد الشاعر، كما يجعل منه أداة تحليلية هامة لدى الناقد، حيث يصبح "أداة كشفية صالحة للتعامل مع النص القديم والجديد على السواء"[٢]، يبرز الناقد من خلاله الأصوات المتعددة داخل النص المدروس والتى تمنح النص ثراءا فنياً ودلالياً.

بقراءة شعر عائشة عبد الرحمن نجد تجلياً لافتاً لظاهرة الاستمداد فى شعرها يمتد من بواكير نتاجها الشعرى أوائل الثلاثينيات حتى السبعينيات. كما نجد أن القرآن الكريم

---

(١) انظر تفصيل ذلك في: شرح عقود الجمان للسيوطي. ج٢ ص ٢١١ ومابعدها.

(٢) د. محمد عبد المطلب : قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجانى – الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان – الطبعة الأولى ١٩٩٥ ص١٣٦.

يمثل المرجعية الأساسية لمعظم أشكال هذا الاستمداد. ويرتبط هذا الاتكاء على القرآن الكريم بطبيعة ثقافتها الدينية وبطبيعة حركتها العلمية كلها التى ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالقرآن الكريم وبالثقافة الإسلامية عامة، فكان طبيعياً أن ينعكس هذا على إبداعها الشعرى، خاصة مع توجيه هذا الإبداع إلى أداء وظائف دينية واجتماعية فضلاً عن وظيفة الفنية الأساسية ، فكان طبيعياً أيضاً أن تتكئ الشاعرة على القرآن الكريم باعتباره ركيزة أساسية من ركائز المجتمع التى تتوجه إليه بهذه الوظائف فى إبداعها. يمكن تصنيف محاور الاستمداد فى شعر بنت الشاطئ إلى أربعة:الاستمداد من القرآن الكريم –الاستمداد من الأدعية– الاستمداد من التراث الشعرى– الاستمداد من التراث الغنائي الشعبى.

١-٢-٢-الاقتباس من القرآن الكريم:

تتعدد كيفياته فى شعر بنت الشاطئ إلى أربعة صور: اقتباس المفردات –اقتباس التراكيب – التنصيص– الإشارة الكلية.

أ_ اقتباس المفردات :

استخدمت الشاعرة بعض المفردات القرآنية فى بعض قصائدها، ورغم أن ورود كلمات مفردة بعينها فى قاموس الشاعر لا يعتمد عليه وحده فى رصد الاستمداد لأن المفردات قبل دخولها فى تراكيب لا يختص بها أحد دون الآخر كما يقول د. محمد عبد المطلب إلا أن "هناك مفردات لغوية اكتسبت هوامش إضافية نتيجة لدخولها فى التراكيب القرآنية، حتى يصح لنا القول أنها مفردات قرآنية – حتى بعد تغير السياق وتغير الوظيفة النحوية يظل لها هذا الطابع ، فإذا غرست فى تركيب ما أشاعت فيه بعضا من هوامشها المكتسبة ومن ثم دلت على ظواهر تناصية"[١]. من نماذج هذه المفردات ما ورد فى قصيدة "وحى الشاطئ" من مفردات مرتبطة فى وعى المتلقى بالنص القرآنى رغم وجود مرادفات لها فى الاستعمال الشائع. تقول:

دفئتُ بعطفك يا بلدتى كدفء الرضيع إذا ما ادَّثر

فالمفردة "ادثر" مفردة قرآنية مستمدة من قوله تعالى **(يأيها المدثّر)** [٢]. وتقول:

---

(١) د. محمد عبد المطلب : قراءات أسلوبية فى الشعر الحديث – ص١٧٠.

(٢) سورة المدثر آية ١.

وبـــــؤت بقلـــــب بـــــه حرقـــــة ودمـــــع كثيـــــر الجـــــوى منهمـــــر

فالفعل "باء" "يبوء" يرد فى القرآن بإسناده للمفرد والجمع، مرتبط الدلالة غالبـاً بـسياق الخسران وغضب الله عز وجل. قال تعالى: "وضربت عليهم الذلة والمـسكنة وبـاءوا بغضب من الله"[١] وقال تعالى: "أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومـأواه جهنم"[٢] وقال تعالى: "ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد بـاء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير"[٣]. وتقول الشاعرة :

أحـــس دوامـــاً ببـــرد النـــوى كـــأن الحيـــاة ظـــلام نُكُـــر

من قوله تعالى: (فتولَّ عنهم يوم يدعُ الداع إلى شيء نُكُر) [٤]. وتقول :

أتنـــسَيْن ذلـــك؟ أمـــا أنـــا فـــلا زلـــت رغـــم النـــوى ادَّكـــرْ

من قوله تعالى فى سورة يوسف(وقال الذى نجا منهما وادَّكر بعدأمة أنـاأنبئكم بتأويلـه فأرسلون)[٥]. ويلاحظ فى توظيف الشاعرة للمفردة القرآنية ما أحدثته مـن تغييـر فـى صيغتها – بإستثناء لفظة "نُكُر" التى وردت كما هى صفة فى الآية الكريمة – بتحويـل الإسناد فيها من الغائب إلى المتكلم فى لفظتى "بؤت" و"أدّكِر" غير أنها فى كل النمـاذج السابقة احتفظت المفردات بظلالها الدلالية فى القرآن مما جعل العلاقة بينها وبين هـذه المفردات علاقة توافق أو تماثل دلالى.

ب- الاقتباس من التراكيب :

ويظهر فى هذا النوع من الاستمداد غلبة الـصياغة القرآنيـة علـى أسـلوب الشاعرة وقدرتها على توظيف هذه الصياغة فى التعبير والتصوير، إذ جـاءت نمـاذج هذا الاستمداد امتصاصاً للبناء الشكلى – بتعبير د. محمد عبد المطلب – للتعبير القرآنى أو استمداداً للصورة الفنية فى القرآن الكريم. من نماذج امتصاص البناء الـشكلى مـن

(١) سورة البقرة آية ٦١.
(٢) سورة آل عمران آية ١٦٢.
(٣) سورة الأنفال آية ١٦.
(٤) سورة القمر آية ٦.
(٥) سورة يوسف آية ٤٥.

الآية القرآنية قولها فى مقطوعة شعرية تهنئ فيها الملك فؤاد الأول بمناسبة عيد جلوسه على العرش[١]:

زعمـــوا الـــدين نقيـــضاً للعلـــى فلنـــدعهم فـــى ضـــلال يعمهـــون

جاء الاقتباس هنا مركباً من أكثر من آية قرآنية فى تركيب واحد "فلندعهم فـــى ضلال يعمهون". فالتركيب "فلندعهم... يعمهون" يتراكب مع قوله تعالى : (من يـــضلل الله فلا هادى له ويذرهم فى طغيانهم يعمهون) [٢] وقوله تعالى: (ولو يعجـــل الله للنـــاس الشر استعجالهم بالخير لقضى إليهم أجلهم فنذر الذين لا يرجون لقاءنـــا فـــى طغيـــانهم يعمهون) [٣] وقوله تعالى: (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون) [٤] كما أن شبه الجملة "فى ضلال" يتراكب مع التعبيـــر القرآنـــى كثير الورود (فى ضلال مبين) و(فى ضلال بعيد)[٥].

فى الجملة الأولى أبقت الشاعرة على الفعل "يعمهون" بـــصيغته القرآنيـــة دون تغيير بينما استبدلت بالفعل القرآنى "يذرهم ... نذر ... نذرهم" مرادفـــه "نـــدعهم" ثـــم غيرت زمن الفعل من المضارع إلى الأمر ملحقة به فـــاء العطـــف والإتبـــاع ثـــم لام الأمر[٦]. ويظل التركيب كله حاملاً للدلالة القرآنية حيث التخلى عمن لا يـــستجيب ولا يؤمن – عمن يدَّعى افتراءً فى المقطوعة الشعرية – وتركـــه فـــى الـــضلال والجهـــل والحيرة والتردد، بغير خفى من الاستخفاف والالتفات إلى ما هو أجـــل وأعلـــى. مـــن نماذج هذا الاقتباس أيضا قولها فى قصيدة "زوجة الصياد"[٧]:

---

(١) تصدرت مجلة النهضة النسائية ع ١٠ أكتوبر ١٩٣٤ السنة الثانية عشرة.

(٢) سورة الأعراف آية ١٨٦.

(٣) سورة يونس آية ١١.

(٤) سورة الأنعام آية ١١٠.

(٥) على سبيل المثال : سورة الزمر آية ٢٢ وسورة الشورى آية ١٨.

(٦) الفاء هنا للعطف والإتباع لأن الزعم بأن الدين نقيض للعلى كان سببا وعلة للأمر "فلندعهم" وهذا ما ذكره ابن جنى فى الفاء التـــى تأتى للعطف والإتباع والتى يقع ما بعدها عقيب ما قبلها، ذكر أنه لذلك جاز أن يقع ما قبلها علة وسبباً لما بعدها. انظر: أبـــو الفتح عثمان بن جنى: سر صناعة الإعراب. دراسة وتحقيق د. حسن هنداوى. دار القلم. دمشق الطبعة الثانية ١٤١٣هـــ – ١٩٩٣م مج١ ص٢٥١-٢٥٢.

(٧) نشرت فى مجلة النهضة النسائية ع سبتمبر ١٩٣٢ م – ربيع الثانى ١٣٥١ هـــ. السنة العاشرة فى باب الأدب مصدرة بـــ "نفثة يراع لشاعرة النهضة الكاتبة القديرة بنت الشاطئ" ثم نشرت فى عدد نسائى خاص من مجلة الأسبوع بتاريخ الأربعـــاء ٩ مايو ١٩٣٤م السنة الأولى ص١٩ مصدرة بالعبارة "مهداة إلى سمائى التى أستلهمها الوحى والتى لا أنكر أن يكـــون لهـــا– مع أنوارها – سحاب ورعد وبرق".

مـــضى الـــصوت إلا هـــدير الريـــا ح تنـــادى الثلـــوج ألا مـــن مزيـــد

استلهمت الشاعرة التركيب "ألامن مزيد" من قول الله تعالى "يـوم نقـول لجهـنم هـل امتلأت وتقول هل من فريد"(١). وتقول فى نفس القصيدة:

مـــضى الليـــل إلا قلـــيلا ومـــا رأيـــت خيـــال الحبيـــب البعيـــد

استلهمت فيه التركيب القرآنى (يأيها المزمل.قم الليل إلا قليلاً) (٢). وتقول فـى قـصيدة بعنوان "لست أدرى": أقنعونى هل علمتم كنهها علم اليقين

اقتبسته الشاعرة من الآيتين القرآنيتين (قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيـه إذ أنـتم جاهلون) و(كلا لو تعلمون علم اليقين) (٣). وفى قصيدتها "نور الكلمة"[٤] تقول:

وقضى أمره ، جل علاه ، على كل ملك

***

وله سخر ما فى الأرض والفلك

يتراكب التركيب "وقضى أمره" مع التعبير القرآنى المتكرر "وإذا قضى أمـراً فإنما يقول له كن فيكون"(٥). ويتراكب التركيب "وله سخر ما فى الأرض والفلـك" مـع التعبير القرآنى المتكرر فى عدد من السور أيضاً "الله الذى سخر لكـم البحـر لتجـرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون. وسخر لكم ما فى الـسماوات ومـا فى الأرض جميعاً منه إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون"(٦). فى كـل النمـاذج الـسابقة غيرت الشاعرة من الصياغة القرآنية تغييراً مـا محتفظـة بالدلالـة القرآنيـة لمعظـم التراكيب: ففى التركيب الأول استبدلت أداة العرض والتحضيض "ألا" بـأداة الاسـتفهام "هل" وفى كلا التعبيرين معنى طلب المزيد. وفى التركيـب الثـانى اسـتبدلت الفعـل الماضى "مضى" بفعل الأمر "قم" فى الآية الكريمة، وفى كلا التعبيـرين دلالـة طـول

---

(١) سورة ق آية ٣٠.

(٢) سورة المزمل آية ١–٢.

(٣) سورة يوسف آية ٨٩ وسورة التكاثر آية ٥.

(٤) نشرت بجريدة الأهرام فى "حديث رمضان" بتاريخ ٩ سبتمبر ١٩٧٧.

(٥) سورة البقرة آية ١١٧، وكذلك سورة أل عمران آية ٤٧ وسورة مريم آية ٣٥.

(٦) سورة الجاثية آية ١٢–١٣، وورد فى سورة إبراهيم آية ٣٢–٣٣ وسورة النحل آية ١٢، ١٤ وسورة الحج آية ٦٥ وسورة لقمان آية ٢٠.

الليل، الأول بانقضاء معظمه والثانى بطلب قيامه. وفى الثالث امتصت الشاعرة أجزاء من البناء الشكلى لآيتين كريمتين معاً، البناء الأول جملة الاستفهام "هل علمتم" احتفظت فيه الشاعرة ببنائه القرآنى وإن كانت دلالة الاستفهام هنا استنكار ادعاء العلم بحقيقة الحياة بدليل قولها فى السطر الشعرى بعده :

أم حللتم لغزها بالترهات ... لست أدرى

فمن حولها يدعى العلم بكنه الحياة وحقيقتها لكن هذا العلم فى حقيقته علم زائف، ليس إلا ترهات، أما دلالة الاستفهام فى الآية الكريمة فى سورة يوسف فكان غرضه النصح فى الدين لا الاستنكار. قال الزمخشرى فى تفسير دلالة الاستفهام فيها: "هل علمتم قبحه (أى قبح ما فعلتم بيوسف وأخيه) فتبتم إلى الله منه، لأن علم القبح يدعو إلى الاستقباح والاستقباح يجر إلى التوبة، فكان كلامه شفقة عليهم وتنصحاً لهم فى الدين لا معاتباً وتثريبا إيثاراً لحق الله على حق نفسه فى هذا المقام..." [1]. أما البناء الثانى "علم اليقين" فقد احتفظت الشاعرة بصيغته القرآنية أيضاً وبدلالته الجزئية المستمدة من الآية الكريمة وهى دلالة التحقيق ، أى "تعلمون علماً يقيناً لا شك فيه"[2] أو كما قال الزمخشرى فى تفسيرها "كعلمكم ما تستيقنونه من الأمور التى وكلتم بعلمها هممكم"[3]. لكنها مزجتها بدلالة التعبير الكلية وهى الاستنكار المتضمن لمعنى السخرية من هذا الادعاء.

ومن نماذج هذا التناص أخيراً توظيف الشاعرة لقوله تعالى فى سورة المزمل "فكيف تتقون إن كفرتم يوما يجعل الولدان شيباً"[4]. فى قصيدتها "زوجة الصياد" حين تقول:

يقاسى عذاباً له رهبة تشيب رأس الرضيع الوليد

---

(1) الزمخشرى ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل. شرحه وضبطه وراجعه يوسف الحمادى. مكتبة مصر حـ٢ ص٤٩٣.

(2) ابن خالويه، أبو عبد الله الحسين بن أحمد: إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم – تحقيق محمد إبراهيم سليم – مكتبة القرآن ١٩٨٩ ص١٨٥.

(3) الزمخشرى : الكشاف جـ٤ ص٦٢٨.

(4) سورة المزمل : آية ١٧.

فرهبة وهول يوم القيامة تشيب رأس الولدان قريبى العهد بالولادة، وكذلك العذاب الذى يقاسيه الصياد وسط أعاصير والرياح والثلوج يرهب القلب حتى يكاد رأس الوليد أن يشيب من هوله.

جـ- أما الاقتباس من الصورة الفنية فى القرآن الكريم ففى مثل قولها فى قصيدة "وحى الشاطئ".

طواها القضاء كطى الكتا ب وأى نعيم لنا يستقر؟

حيث وظفت الشاعرة التصوير القرآنى فى الآية الكريمة "يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب... [1] إذ شبهت سرعة انقضاء ليالى السحر فى بلدتها وانمحاءها تماماً باختفاء المكتوب فى الكتاب حين يطوى عليه. وهو نفس التشبيه فى الآية القرآنية ليوم القيامة حين تطوى السماء كما يطوى السجل على ما فيه من مكتوبات إيذاناً بانتهاء الدنيا.

د- الإشارة الكلية:

يتركز هذا الشكل من أشكال الاقتباس فى قصيدة "نور الكلمة" وهى من القصائد المتأخرة نسبياً فى تجربة بنت الشاطئ الشعرية، حيث تبلغ مواضع هذه الإشارة فيها سبعة بالإضافة إلى موضعين للاقتباس من التراكيب القرآنية سبقت الإشارة إليهما. هذه الكثافة فى استخدام الاقتباس فى القصيدة يمكن القول معها أن القصيدة فى مجملها تمثل نوعاً من الإشارة الكلية للقرآن الكريم خاصة سورة العلق، كما يمكن القول من ناحية أخرى إن توظيف الشاعرة لهذه الأداة التعبيرية قد ازداد مع تقدم تجربتها الشعرية زمنيا وفنياً. فالقصيدة وهى من شعر التفعيلة على وزن الرمل الذى يتداخل مع بحور شعرية أخرى – أو كثيرة الكسور العروضية، تتناول أثر كلمة "اقرأ" على البيت العتيق وعلى الدنيا وعلى الإنسان جميعاً. فأثر نورها على البيت العتيق أن جلىّ مجد ماضيه العريق بعد أن طوته وشوهته الأصنام. وأثر نورها على الدنيا كان أن بعثت فيها ميلادا جديداً بعد أن أعيت السبل فى محو ظلماتها. أما أثرها على الإنسان فقد كان شاملاً وعميقاً إذ أرشدته إلى أصل خلقه أنه "من علق" وما فيه من الإعجاز، ثم كان الإنعام عليه بنعمة العلم والاستخلاف فى الأرض دون سائر

---

(1) سورة الأنبياء آية ١٠٤

المخلوقات، ثم تسخير الكون وما فيه من أجله. ثم كان أثر نورها الأكبر باصطفاء نبي يتيم – مخلوق من علق أيضاً – خاتماً للرسل، ثم كان غاية تمام نورها أن كانت المعجزة كتاباً أول آياته "اقرأ". وتمثل كلمة "اقرأ" هنا إحالة كلية إلى القرآن الكريم باعتبارها صدر أول آية نزلت منه وباعتبارها – فى سياق القصيدة – مفتاح رؤية نور الكلمة. تقول:

بعد ليل حالك أعمى بهيم

مطفأ الأنجم مشلول الخطا

جاهلى، تائه، ضال السرى

أشرقت "اقرأ" على خير الورى

فإذا الكون ضياء وخشوع وسنا

وتقول:

فجرها الصادق فى أم القرى

آذن الدنيا بميلاد جديد

ردت الروح إليها ببعث المصطفى

آية "اقرأ" كانت لها بعثا وبشرى

وتستخدم الشاعرة الإحالة الكلية فى موضع أخر من القصيدة فى قولها:

خصه خالقه، ما أكرمه

بالذى يسمو به على ما قد خلق

أن "علمه"

وحده يعرف سر الحرف ، كسب العلم

ويدرى ما الكتاب وما القلم

فجملة "علمه"تحيل إلى القرآن الكريم أيضاً لارتباط دلالتها بفعل القراءة فى "اقرأ" إذ القراءة وسيلة العلم، وهى تتناص مع الآية الكريمة فى سورة الرحمن "خلق الإنسان،

علمه البيان" فتحيل إلى دلالة الخلق والعلم وهما النعمتان الكبريان اللتان تجلى فيهما نور الكلمة كما تشير القصيدة.

هـ– **التنصيص** : من نماذجه فى القصيدة قولها:

آية الإنسان

من أى شىء قد خُلق

من علق

مزجت الشاعرة هنا بين شكلين من أشكال الاقتباس ، الأول امتصاص البناء الشكلى للآية القرآنية "من أى شئ خلقه"[1] مع بعض تغيير فى التركيب تمثل فى تغيير بناء الفعل الماضى إلى المجهول مما اقتضى حذف ضمير المفعول به من الفعل فى الآية الكريمة وإضافة "قد". والثانى الاقتباس فى جزء من الآية الكريمة "خلق الإنسان من علق"[2] وقد جاء اختزال الإجابة عن السؤال "من أى شىء قد خُلق" بقولها: "من علق" بحذف متعلق الجار والمجرور: خُلق من علق – مثلما جاءت إجابة السؤال فى سورة "عبس": "من نطفة خلقه فقدره" – انصرافاً إلى دلالة الآية والإعجاز فى خلق الإنسان وهى أنه خلق – وهو المخلوق العظيم ذو الأفعال والآثار الكبار فى الحياة – من حقير صغير "من علق" مثله فى ذلك مثل بقية جنس الحيوان:

مثل جرذ، مثل هر: من علق

مثل ذئب، مثل قرد: من علق

مثل بغل وحمار : من علق

فكانت أولى آيات خلقه خلقه من علق. ثم تقول بعدها :

وحده الذى منَّ عليه من خلق

خصه بالآية الكبرى:

آية "اقرأ باسم ربك الذى خلق"

آية الإنسان

فكانت ثانية آيات خلقه أن خصه الله بنعمة القراءة والعلم. والاقتباس هنا لأول آيات سورة العلق، لكنه جاء لآية كاملة بعد أن كان فى النموذج السابق جزءاً من جملة.

---

(1) سورة عبس آية ١٨

(2) سورة العلق آية ٢

ويأتى النموذج الثالث متدرجاً فى طول الاقتباس حيث اقتبست الشاعرة خمس آيات كاملة من سورة العلق. تقول:

غاية التكريم أن كتاباً معجزة

أن أولى آياته :

"اقرأ باسم ربك الذى خلق

خلق الإنسان من علق

اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم

علم الإنسان ما لم يعلم"

٢-٢-٢-الاستمداد من الأدعية الدينية:

ومن مصادر الاستمداد والاقتباس استخدام الشاعرة صيغتين من الصيغ الدينية هما تلبية الحجيج (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك) وتكبيرات العيد (الله أكبر الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد، ... لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده، لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون). جاء هذا فى قصيدتها المطولة "أغنية للعيد"، فقد وظفت الشاعرة الصيغة الأولى وهى تلبية الحجيج فى ختام خمسة مقاطع من مقاطع القصيدة الأحد عشر، مع تعديل فى الصياغة فى كل مرة يتناسب مع دلالة المقطع. ففى المقطع الأول من القصيدة معنى شمول فيوضات العيد أبعاد المكان والأشخاص والأحوال، فقد جاءوا من فجاج الأرض متناسين أحوالهم البشرية من ضغائن وأحقاد وشر، متساوى الهامات رعايا وملوكاً دون فروق أمام واحديته سبحانه فى هذا الموقف الجامع، حيث يشهد الجميع باتساع هذا الملك و خلوصه له سبحانه. وفى المقطع الخامس معنى شمول فيوضات العيد أبعاد الزمان والمكان حيث البهجة والنور والأنس تعمر الأفق والنفس فيتجاوبان بهذا الشدو البهيج، فكان ختام المقطعين بقولها : **ربنا لبيك إن الملك لك**

والمقطع السادس تختمه الشاعرة بقولها : **ربنا لبيك يا نور السماء**

ليناسب معنى ارتفاع هتاف الملايين من كافة بلاد المسلمين فى الفضاء، كأنه حركة توجه أبصارهم من أسفل حيث هتافهم الصاعد إلى أعلى حيث السماء تنشر نور ربها على هذه الملايين المحتشدة . والمقطعان السابع والحادى عشر تختمهما بقولها:

ربنا لبيك إن الحمد والنعمة والشكر لك

لتناسب فى السابع معنى شكر النعمة الكبرى وهى هداية أجيال الأمة فى عصور ضعفها وقوتها جميعاً مستنة بسنة النبى صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة بترديد هذا الحمد. ولتناسب فى المقطع الحادى عشر والأخير معنى الشكر والحمد على السراء والضراء إذ العيد ثأر وتضحيات ومأس وبطولات واقتداء بسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم يوم الفتح، تقول:

عيدنا ثأر الوف الشهداء

وملايين الضحايا الأبرياء

ومآسى اللاجئين الغرباء

وبطولات الجنود الشرفاء

وهُتافٌ بدعاء المصطفى

يوم عيد النصر فى أم القرى

ربنا لبيك

إن الحمد والنعمة والشكر لك

أما تكبيرات العيد فقد ختمت بها الشاعرة المقطع الرابع من القصيدة "الله أكبر الله أكبر الله أكبر... وحدك اللهم نعبد" معبرة عن تمازج مشاعر المسلمين وأصوات تكبيراتهم من ذرا عرفات إلى سفح المكبر بفلسطين. وقد جاءت صيغة التكبير استمداداً للقوة من الله الأكبر على طغيان اليهود بأرض الإسراء، فى وصف متكرر لهم فى قصائدها بالذئاب والوحش والشيطان. تقول:

وتوارى القدس فى جوف الدجى

بائس الأطلال محجوب السنا

يسأل الأنقاض : أنى الموعد

ليطل الفجر من ذاك الخراب!

أين مسرانا وأين المعبدُ ؟

ثـــم لا رد ســـوى رجـــع الـــصدى

وعـــواء الـــوحش مـــن مرعـــى الـــذئاب!

وعلـــــــى المهـــــــد المـــــــسهد

غـــــصن زيتـــــــون يتـــــــيم

وبقايـــــــا مـــــــن هـــــــشيم

وصـــــدى صـــــوت بعيـــــد يتـــــردد

مـــن ذرا عرفـــاتْ إلـــى ســـفح المكبـــر:

"الله أكبـــر ... الله أكبـــر ... الله أكبـــر

وحـــــــدك اللهـــــــم نعبـــــــدْ"

وعلـــــــى مـــــــسرى محمـــــــدْ

بجـــوار المهـــد مـــن أرض الـــسلام

ينـــشر الـــشيطان طـــاغوت الظـــلام

ويعربدْ ....

٣-٢-٢- التضمين من التراث الشعري:

فى قصيدة "لست أدرى"[١] وهى من أوليات قصائدها يتنسم فيها القارئ أنفـاس أبى العلاء المعرى فى قلقه وتساؤله الدائم وزهده فى الدنيا. لكـن دلالات القـصيدة لا تقف عند حد تشابه الأنفاس بل تتعداه إلى الاستمداد الدلالى من داليته المشهورة.

غير مُجد فى ملتى واعتقادى نوح باك ولا ترنم شادى

تقول بنت الشاطئ :

ســـوف يمـــشى نـــسلنا فـــوق ثرانـــا

(١) يلفت النظر فى هذه القصيدة تشابه شكلها ووزنها وموضوعها مع قصيدة إيليا ابى ماضى "الطلاسم" فهل كان هناك تأثر مباشر – أو غير مباشر بينهما أم هو مجرد تشابه فى التجربة الشعرية أفضى إلى هذا التوافى الموسيقى والدلالى؟

مثلما نمشى جميعــا فــوق أجــساد أبينــا

هكـــذا الـــدنيا كمـــا نجـــزى جزينـــا

ألغير الدود نحن يا رفاقى ... لــست أدرى

وفى المقطوعة التالية لها تقول عن الأرض وما تنبته من خيرات مشربة بدماء السابقين:

تنبت الخيرات فى الأرض، غذاها هل يكون

غير أجسام الجدود السابقين ... لست أدرى

هذا الإلحاح على معنى أن وجه الأرض الذى نسير عليه ليس إلا بقايــا مــن سبقونا ألح عليه أيضاً أبو العلاء المعرى فى مرثيته الدالية بقوله :

صاح هذى قبورنا تملأ الرحـــ ب فأين القبور من عهد عاد

خفف الوطء فما أظن أديم ال أرض إلا من هذه الأجساد

وقبيح بنا وإن قدم العهـــ ـدُ هــوان الآباء والأجداد

سران استطعت فى الهواء رويدا لا اختيالاً على رفات العباد

وإن كان هذا المعنى ضيقاً عند بنت الشاطئ متسعاً عند المعــرى، إذ ربطــه بامتلاء الأرض بقبور الناس، متسائلاً أين قبور السابقين منذ زمان عاد إن لم تكــن قــد تحولت إلى هذا الأديم الذى يمشى عليه الناس والذى دفن فيه الأمــوات الحاضــرون، مستنكراً إهانة الآباء والأجداد بهذا السير على الأرض. لكن بنت الشاطئ أضافت معنى أخر لمعنى أبى العلاء وهو أن أجساد السابقين لا تكون فقط وجه الأرض الــذى نــسير عليه بل تكون الخير الذى يخرج منها من نبت وغيره، إذ إن غذاءه ليس إلا بقايا هؤلاء الراحلين. ورغم ما فى المقطوعة من سناد بين "ثرانا" و"أبينا" وهو متكرر فى القصيدة، ورغم ركاكة التعبير الذى ساقته حكمة فى قولها:

هكذا الدنيا كما نجزى جزينا

وهى ركاكة متكررة فى كثير من قصائدها ،إلا أن هذا المعنى الإضــافى لمعنــى أبــى العلاء يشير إلى تأثرها العميق بقصيدة أبى العلاء ثم محاولتهــا تجــاوز دلالتهــا إلــى دلالات إضافية رغم حداثة تجربتها الشعرية آنذاك.

٤-٢-٢-التضمين من التراث الغنائي الشعبي:

من صور التضمين التي وظفتها الشاعرة تضمين الغناء الشعبي. من نماذجه فى قصيدتها "أغنية للعيد" تضمين مقطع من أغنية شعبية جزائرية رددها شعب الجزائر بعد النصر عام ١٩٥٤. ويأتى الاستمداد هنا كاملا حيث تنقل الشاعرة المقطع الغنائى بنصه دون تغيير فى الصياغة واضعة إياه بين علامتى تنصيص. تقول مستعرضة أمجاد الأمة فى الماضى والحاضر:

ووعى التاريخ أمجادا لنا

ورآنا نغلب الكثرة من أعدائنا

غيرَّ الإيمان ميزان القوى

يوم جالوت وفى مرج دابق

وانتصرنا فى الجزائر

يومها رجعت آفاقنا

كلمات لم تزل فى سمعنا:

"يا محمدْ مبروك عليك

الجزاير رجعت ليك"

ورغم سطحية التعبير فى قولها:" ورآنا نغلب الكثرة من أعدائنا"، والتعبير المتأثر بلغة الصحافة فى قولها:" غير الإيمان ميزان القوى" وهما ظاهرتان فى أسلوبها الشعرى فى أوائل تجربتها الشعرية وحتى فى قصائدها المتأخرة – باستثناء قصائدها الخمس فى رثاء زوجها – رغم ذلك فإن توظيفها للأغنية الشعبية كانت له قيمته الدلالية إذ أشار إلى البعد الدينى فى الصراع فى الجزائر وإلى الوعى الشعبى بهذا الارتباط بينهما حتى إنه نسب الجزائر إلى "محمد" صلى الله عليه وسلم فى إشارة واعية إلى هذا الارتباط.

٣-٢-التكرار:

والمقصود به تكرار مطالع القصائد فى خواتيمها أو تكرار بعض الأسطر الشعرية من بعض المقاطع الأولى فى ختام القصائد مع بعض تغييرات فى الدلالة مما

يمنحها تماسكاً بنائياً ووحدة دلالية فضلاً عن النغم الموسيقى المضاف بالتكرار. ويلاحظ على هذه الخاصية التعبيرية أن التكرار يكون:

أ- في **التعبيرات الحقيقية وفي الصور البيانية:** تتكرر هذه السمة فى كل قصائد بنت الشاطئ الإسلامية وفى عدد من قصائدها الأخرى. تقول فى مطلع قصيدة "دعاء" في تكرار للمعاني الحقيقية:

ليلة المولد جودى بعطائك
وامنحينا زادنا من عبرتك
أشرقى بالنور فى تيه سرانا
ذكرينا بالذى قاد الخطى
واجمعى أشلاءنا تحت لوائك

ثم تكرر المطلع فى الختام :

ذكرينا بالذى قاد الخطى
وهدى الأبصار منا والبصائر
رجعى فى ليلنا صوت الهدى
يوقظ الأرواح فينا والضمائر
زودينا بعطائه
واجمعى أشلاءنا
تحت لوائه

فقد تكرر نفس المضمون فى المطلع والختام مع تغيير الضمير من المخاطب فى المطلع وهو ليلة المولد النبوى الشريف إلى ضمير الغائب فى الختام، العائد على النبى صلى الله عليه وسلم. ففى المطلع: جودى بعطائك – ذكرينا بالذى قاد الخطى – اجمعى اشلاءنا تحت لوائك ، وفى الختام ذكرينا بالذى قاد الخطى – زودينا بعطائه – واجمعى أشلاءنا تحت لوائه.

وفي قصيدة" بنت الجزائر" تكرر في المقطع نفس مطلع القصيدة:

أختُ يا بنت الجزائر
كل ألفاظ لنا تبدو هزيلة
عندما نرفعها إلى عالي مقامك

والمعاني الخصبة الكبرى الجليلة

تتراءى شبه صماء عقيمة

حين تدنو في خشوع من رحابك

أما تكرار الصور في المطلع وفي المقطع فإنه يصبغ القصيدة بصبغ بياني متجانس بدئها مع ختامها.من نماذج هذا التناظر البياني بين مفتتح القصيدة وختامها قولها في قصيدة "نور الكلمة":

بعد ليل حالك أعمى بهيم

مطفأ الأنجم مشلول الخطا

جاهلي تائه ضال السرى

أشرقت "اقرأ" على خير الورى

****

نورها البازغ من غار حراء

نسخ الظلمة في التيه السحيق

وفي ختام القصيدة تقول:

نورها البازغ في غار حراء

نسخ الظلمة من ليل العماء

فجرها الصادق في أم القرى

كان للإنسان ميلادا وبشرى

فتكرار صورة الليل الأعمى والظلمة المنسوخة بالنور منحت النص تجانسا في الصور وتلاؤما في المعنى في بدئه ومنتهاه.

وفي قصيدة" أغنية للعيد.. من ذرا عرفات إلى سفح المكبر" تتكرر الصورة التشبيهية للصهاينة بالشيطان وبالذئاب تعوي ثلاث مرات،في درج القصيدة وفي ختامها ، كأنها تلح على المعنى لتثبيت الصورة في الذهن أن تُنسى. تقول:

وعلى سفح المكبر عند أولى القبلتين

ثالث الأقداس صنو الحرمين

في جوار المهد من أرض السلام

نشر الشيطان طاغوت الظلام

ومضى يعوي ويزأر

.....

ثم لارد سوى رجع الصدى

وعواء الوحش من مرعى الذئاب

.....

وعلى مسرى محمد

بجوار المهد من أرض السلام

ينشر الشيطان طاغوت الظلام

ويعربد..

ب- في النص الواحد وبين النصوص المختلفة:

حيث تتكرر الصور البيانية عندها في أكثر من نص، مما يحدث تجانسا تصويريا بين النصوص من جهة ويحدث نوعا من تجاوب أصداء الدلالات بينها من جهة أخرى.

من نماذج هذا التجاوب التصويري بين النصوص تكرار صورة الصهيوني الشيطان في قصيدة أخرى بعنوان" رسالة إلى شهود الموسم"حيث تقول في خواتيمها:

أهلنا الحجاج

معكم نحن وإن كنا هنا أو ههنا

نرجم الشيطان جمرا من غضب

ونلبي: الله أكبر

حيث يختال صهيون ويزأر

في حمى القدس ويافا والخليل

.....

ويرانا حفنة من نفايات البشر

ومن نماذج هذه الظاهرة أيضا من بواكير شعرها تكرار تشبيه حلمها المخفق بالرسوم الدارسات، تقول في مقطوعة بعنوان" وحي الشاطيء":

كان حلما كاد بالعقل يغيب يافؤادي فانج من هذي السموم

قرب المجهر من أمس قريب واقرأ الدارس من تلك الرسوم

وفي مقطوعة أخرى بنفس العنوان تقول:

كان حلما لاح ليلا برهة لم يدع إلا رسوما دارسات

٤-٢-تنوع البنية الموسيقية:

تنوع البناء العروضى للشعر الذاتي من حيث الوزن وصورة القصيدة.

فمن حيث الوزن: يجئ بحر الرمل أولاً إذ بنت عليه الشاعرة قصيدتى "الحنان" و"لست أدرى" وثلاث مقطوعات شعرية اثنتان بعنوان "وحى الشاطئ"[١] والثالثة فى مدح الملك فؤاد الأول. يليه بحر الكامل إذ صاغت عليه قصيدتين من قصائد المديح الأول بعنوان "كلمة إلى زعيمة الشرقيات"[٢] تمدح فيها السيدة لبيبة أحمد صاحبة مجلة النهضة النسائية وكانت بنت الشاطئ وقتها فى سن الخامسة عشرة من عمرها. والقصيدة الثانية بعنوان "صفحة خالدة"[٣] تمدح فيها صاحب العزة محمد الحسينى مصطفى بك أحد كبار المسئولين بوزارة المعارف آنذاك. وصاغت على نفس البحر كذلك مقطوعتين شعريتين إحداهما بعنوان "الحورية الأرضية"[٤] والثانية بعنوان "الوداع"[٥]. ويأتى بحر المتقارب آخراً فى عدد القصائد إذ بنت عليه الشاعرة قصيدتين هما "زوجة الصياد" و"وحى الشاطئ".

ومن حيث صورة الوزن أو الشكل العروضي فقد جاءت معظم قصائد هذا الشعر وكل المقطوعات المفردة فى شكل القصيدة العمودية ذات الشطرين والقافية الموحدة، عدا قصيدتين هما:قصيدة "الحنان" وقد جاءت فى شكل مقطوعات شعرية ثلاثية الأبيات كل مقطوعة متفقة العروض ومتفقة الضرب، وبعد المقطوعة السادسة تزدوج المقطوعات كل بيتين بقافية موحدة. وقصيدة "لست أدرى" مكونة من ١٤ رباعية على نظام الشطر العمودى، كل رباعية لها قافية مستقلة فى الأشطر الثلاثة الأولى والشطر الرابع مختوم بقافية الراء المطلقة من "لست أدرى" التى تتكرر فى

---

(١) نشرت هذه المقطوعة بمجلة النهضة النسائية ع١٠ أكتوبر سنة ١٩٣٤ السنة الثانية عشرة ص ٣٣٠.

(٢) نشرت بمجلة النهضة النسائية ع١٠ أكتوبر ١٩٢٨م السنة السادسة ص٣٤٧.

(٣) نشرت بمجلة النهضة النسائية ع٣ مارس ١٩٣٤ السنة الثانية عشرة ص٨٣.

(٤) نشرت بمجلة النهضة النسائية ع٣ مارس ١٩٣٣ السنة الحادية عشرة ص٨١ ثم أعادت نشرها فى العدد ٧ يوليه – سنة ١٩٣٤ ثم نشرتها مرة ثالثة فى مجلة الأسبوع ع٣٦ الأربعاء أول أغسطس ١٩٣٤ السنة الأولى.

(٥) نشرت بمجلة النهضة النسائية ع١٠ أكتوبر ١٩٣٣ السنة الحادية عشرة ص٣٤٥، ثم نشرتها مرة أخرى بعنوان "ساعة الوداع" بنفس المجلة فى العدد ٥ مايو ١٩٣٤ السنة الثانية عشرة.

نهاية الرباعية ممتدة عبر الرباعيات كلها. أما قصيدة "وحى الشاطئ" فإن فيها ملمحاً تجديدياً فى شكل القصيدة حيث قسمتها الشاعرة إلى ثمانى مقطوعات شعرية غير متساوية عد الأبيات (٣ – ٧ – ٣ –١٣ –٥ –٧–١٠–١٠) لكل منها عنوان مستقل: يا دهر – أيغنى البكاء – هدوء وجلال – حب وحنين – الصمت القهرى – القناعة القهرية – عذاب ووحشة – ذكرى وأنين ، هذه العناوين تجعلها كأنها قصائد داخلية جامعها جميعاً الشكوى من الدهر والغربة والوحشة والحنين، يوحيها إليها جميعاً الشاطئ الذى اغتربت عنه فجاء العنوان الرئيسى "وحى الشاطئ" جامعاً لهذه العناوين الفرعية أو التفصيلية.

والبناء العروضى لقصائد الرثاء تتنوع موسيقاه تنوعاً ملحوظاً. فرغم وحدة الوزن فى القصائد جميعاً وهو بحر الرمل فإن صور القصائد تتنوع بين الصورة المشطرة التى تتخذ شطر البيت العمودى وحدة لها، كما فى قصيدة "رؤيا" و"أغنية للذكرى"، وصورة الشعر الحر أو شعر التفعيلة كما فى بقية قصائد الرثاء. والصورة الأولى يتكون الشطر فيها من ثلاث تفعيلات لكنها تخالف هذا النسق فى قصيدة "أغنية للذكرى" حيث يتقلص عدد التفعيلات إلى اثنتين منذ الشطر العشرين وما بعده من الأشطر الزوجية العدد حتى نهاية القصيدة ،ثم تخالف هذا النسق مرة أخرى فى البيت الأخير حيث تزيد تفعيلاته إلى أربعة تفعيلات.

ويلاحظ على قصائد الرثاء وحدة إيقاع بحر الرمل فيها عدا قصيدة "أمتى الله لك" التى تنوع الإيقاع فيها فى موضعين :

وعلى مر أيام شحيحات عجاف

فعلاتن مفاعلين مفاعيلن مفا

وليال كالحات مظلمات

طال انتظارك

مستفعلان

ففى السطر الأول تحول الإيقاع من بحر الرمل إلى بحر الهزج "شريك الرمل فى دائرته العروضية المجتلب" ووحدة إيقاع الهزج (مفاعيلن) هى مقلوبة وحدة إيقاع

الرمل (فاعلاتن – لن مفاعى)" [١] وفى السطر الثالث زادت سبباً خفيفاً قبل تفعيلة الرمل الكاملة فأصبحت التفعيلة من إيقاع الرجز ومرفلة (أى زيد فى أخرها سبب خفيف).

ولا يعد هذا المزج بين بحرين من قبيل ابتكار وزن شعرى جديد تجديداً لموسيقى الشعر[٢] لأنه لم يطرد فى القصيدة كلها بل جاء فى هذا الموضع فقط، كما أنه لا يوجد من بين بحور الشعر المركبة من ثلاث تفعيلات وزن فاعلاتن مفاعيلن مفاعيلن. ومن ناحية ثالثة، فإن جهد الشعراء المحدثين فى تطويع الأوزان المركبة فى كتابة الشعر الحر كان محدوداً "فإن الغالبية العظمى من نتاج الشعر الحر جاءت فى إطار النمط البسيط الذى تتألف وحدة إيقاعه من تفعيلة واحدة"[٣] وبنت الشاطئ على كل حال لم تستغرق جهدها فى إبداع الشعر عامة فضلا عن قصد التجديد فيه.

أما نظام التقفية فى قصائد الرثاء ففيه تنوع ظاهر. فى قصيدة "رؤيا" تتخذ الشاعرة قافية الهاء المقيدة فى الأبيات أو الأشطر الزوجية من القصيدة كلها بينما تتنوع قوافى الأبيات الفردية. أما قصيدة "أغنية للذكرى" فتقسمها الشاعرة إلى مقطوعات شعرية مختلفة عدد الأشطر (٤-٤-٦-٤-٤-١٤-٢) . فى المقطوعات الرباعية تأتى القافية متبادلة مع حرف النون المطلقة فى الأشطر الزوجية ويمتد أيضاً حتى نهاية القصيدة، أما المقطوعة الشعرية الأطول فتكتفى الشاعرة بالقافية الممتدة عبر القصيدة كلها بينما تختلف قافية الأبيات الفردية. تقول فى المقطوعة الأولى:

لا تخل أنّا على بعد المزار
قد سلونا أو نسينا عهدنا
أو غفونا بين ليل ونهار
ننشد الصبر ونأسو جرحنا.

---

(١) انظر: د. على عشرى زايد: عن بناء القصيدة العربية الحديثة مكتبة الشباب – القاهرة ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م – ص٢٠٨.

(٢) الوزن المبتكر هو الذى مزج فيه الشاعر البحور الشعرية وهو من تجديد الشعراء المحدثين فى موسيقى الشعر العربى. انظر: د. محمد جمال صقر: علاقة عروض الشعر ببنائه النحوى – مطبعة المدنى الطبعة الأولى ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م. ص٣٥، وانظر قضية تجديد الشعر بتجديد عروضه ٢٦-٢٩.

(٣) د. على عشرى زايد : عن بناء القصيدة العربية الحديثة – ص١٩٢.

أما القصائد الأخرى فتعتمد نظام المقطوعات الشعرية وهى من الشعر الحر غير المحدد فى طول الأسطر الشعرية، كل مقطوعة تتبادل فيها قافيتان فى الأسطر الشعرية بانتظام. ففى قصيدة "بعد عام" تتبادل النون المطلقة والكاف المقيدة قوافى الأسطر الشعرية للمقطع الأول، وفى المقطع الشعرى الثانى تتبادل النون المطلقة واللام المقيدة قوافى الأسطر الشعرية، ثم فى الفقرة الثالثة تتبادل الباء الساكنة التى ردفها الألف الممدودة مع الباء الساكنة التى رد فيها الباء الممدودة والتى تتبادل مع الواو الممدودة[1]. وهكذا فى بقية المقطوعات حتى أخر القصيدة :

عامنا

قد كان دهراً من عذاب

ولئن خلناه كالحلم الرهيب

دربنا

قد صار كالقفر الباب

غير طيف منك عنه لا يغيب

دارنا

لم يبق فيها من ثقاب

غير رؤيا لمحة فيها تئوب

أما قصيدتا "كلمات للذكرى" و"عود على بدء" فلا تتبع الشاعرة فيها نظاماً مطرداً فى القافية إذ تتنوع فيهما تنوعاً غير منتظم. غير أنها فى قصيدة "كلمات للذكرى" تصدر كل مقطوعة شعرية من مقاطع القصيدة بثلاثة أسطر ذات قافية متحدة، فالمقطع الأول تبدأه بقولها:

اشرب الكأس ولا تبق ثمالة

ما علينا

يستوى حلو ومر

والمقطع الثانى تبدأه بقولها :

طال مسرانا ولم تبق ذباله

---

(1) حرف الردّف هو حرف المد الذى يكون قبل حرف الروى مباشرة ، يكون إما ألفاً وإما واوا أو ياء والأخيران يجوزأن يتبادلا. انظر: د. أمين على السيد: فى علم القافية – مكتبة الزهراء – القاهرة ص٤٢.

ما علينا

يستوى ليل وفجر

وفى الثالث :

لن ترى فى اليم مرسى

غير وهم وضلالة

ما علينا

يستوى بر وبحر

وتبدو موسيقية هذه الفقرة ليس فقط فى تكرار الهاء المقيدة فى "ذبالة، ثمالة، ضلالة" وحرف الراء فى (مر، فجر، بر وبحر) بل فى المقابلة بين اللفظية الثنائيين فى كل منها:

(حلو ومر ، ليل وفجر، بر وبحر...)

وتكثف الشاعرة استخدامها لهذه الأداة الفنية فى قصيدة "عود على بدء" بتكرار هذه الثنائية المتقابلة فى سطرين شعريين متتابعين تربط بهما بين الشرط وجوابه واللذين يمثلان بنية كل مقطوعة شعرية من مقاطع القصيدة الأربعة :

كلما قلنا : برئنا

من جراح اليأس بالقهر العقيم

واسترحنا

واستوى خير وشر

واستوى رفض وصبر

حومت مصر على أشباحنا

وتجدر الإشارة إلى أنه ربما كانت بنت الشاطئ قد كتبت القصيدة على مراحل، خاصة أنها نشرت جزءاً من المقطوعة الرابعة التى جاءت بعنوان "حب وحنين" فى العدد السادس يونيه سنة ١٩٣٤ مجلة النهضة النسائية، أى قبل نشرها كاملة بثلاثة أشهر، و رغم هذا الاحتمال فإن القصيدة متحدة المعنى والنفس الشعرى المتسق بلا خلل ولا فجوات.

و تبنى الشاعرة قصائدها الإسلامية جميعاً على وزن بحر الرمل فى صورة الشعر الحر ذى السطر الشعرى غير متساوى عدد التفعيلات. ونظام التقفية متنوع فى

مقاطع كل قصيدة ولا يسير على نسق واحد، والمقاطع الشعرية نفسها غير متساوية فى عدد الأبيات فعلى سبيل المثال تأتى قصيدة "بنت الجزائر"[1] فى ستة مقاطع شعرية عدد سطورها ٦-٢٨-١٢-١٤-٧-٦ ونظام القافية فيها على هذا النحو:

فى المقطع الأول مثلاً: ر – هـ – ك – هـ – هـ – ك.

وفى المقطع الخامس : ر – ها – ر – هـ – د – ك – د.

وقصيدة "هل هلالك" تنقسم إلى خمسة مقاطع عدد أسطرها الشعرية: ٥-٨-١١-٦-٥، ونظام القافية فى المقطعين الثالث والرابع مثلاً: ى – ت – ى – ل – ت – ت – عا – د – ر – د – ن / ب – ء – ء – ء – ء – ء وهكذا.

كما يلاحظ فى هذا القسم من الشعر كثرة الكسور فى أوزان الأبيات خاصة فى قصائد "رسالة العيد" و"أغنية للعيد" و"نور الكلمة".

والخلاصة : – أن بنت الشاطئ اعتمدت بحر الرمل وزناً رئيسياً أساسياً فى إبداعها الشعرى وهو بحر يتميز بالبساطة والسهولة، كما أن النغم الموسيقى فى هذا الإبداع قد تميز بالثراء والتنوع فى نظام القافية وفى صور القصائد وفى بنائها الشكلى حيث تنوعت القوافى بين القافية الموحدة فى القصيدة العمودية والقافية المتنوعة فى القصائد ذات المقطوعات الشعرية والتحرر من القافية فى الشعر الحر.

- وتنوعت صور القصائد بين القصيدة العمودية ذات الشطرين والقصيدة ذات الشطر العمودى الواحد وقصيدة التفعيلة والقصيدة المقطعية. أما البناء الشكلى للقصائد فقد غلب عليه التقسيم إلى مقطوعات شعرية ثلاثية ورباعية وخماسية ومقطوعات غير منتظمة عدد الأبيات وكل هذا يمنح الإبداع الشعرى لبنت الشاطئ ثراء موسيقياً متميزاً.
- ويلاحظ أن البناء العروضى للقصائد قد اتخذ خطاً متطوراً زمنياً حيث كانت الشاعرة تبنى قصائدها على الشكل العمودى فى بدايات ابداعها الشعرى أو مرحلة الشعر الوجدانى مع تنويع أحياناً إلى صورة الشطر العمودى، وفى قصائد الرثاء التزمت صورة الشطر العمودى عدا قصيدتين هما أخريات هذه المرحلة، وفى المرحلة الثالثة تحررت الشاعرة من نظام القافية وأبدعت كل قصائدها الإسلامية على نمط الشعر الحر.

(١) نشرت بجريدة الأهرام بتاريخ ١٦ أكتوبر ١٩٦٢.

القسم الثاني: الديوان

١- جمع الديوان:

١-١- نشرت د. بنت الشاطيء قصائدها في ثلاثة مصادر، هي بحسب الترتيب التاريخي:

أ- مجلة النهضة النسائية في أعدادها الصادرة من عام ١٩٢٨ إلى ١٩٣٥.

ب- مجلة الأسبوع في عدد صادر منها سنة ١٩٣٤.

ج- جريدة الأهرام في أعدادها الصادرة من عام ١٩٦٢ إلى ١٩٩٨.

وقد رجعتُ فى الأولين منهما إلى مكتبة الهيئة المصرية العامة للكتاب، وفي المصدر الثالث إلى أرشيف جريدة الأهرام، في المجلدات الخاصة بها -رحمها الله- ، وهي المجلدات رقم: ٢-٣/ ٤-٥/٦-٧/ . وقد أَلحَقَتْ -رحمها الله- قصائدَها الخمسة في رثاء زوجها الشيخ أمين الخولي-رحمه الله- بآخر سيرتها الذاتية "على الجسر بين الحياة والموت" التي نشرتها الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٦[١].

١-٢- يمكن تصنيف شعر بنت الشاطيء إلى نوعين من القصائد:

الأول: مقطوعات شعرية: وهي إما:

أ- مقطوعات مستقلة، مثل: "من وحي الشاطيء" مقطوعة من ٣ أبيات- "الحورية الأرضية" مقطوعة من ٤ أبيات- الوداع مقطوعة من بيتين- التوبة(٢) مقطوعة من ٥ أبيات- مقطوعة مهداة إلى الملك فؤاد الأول بمناسبة عيد جلوسه على العرش، عدتها ٤ أبيات- مقطعة في الزهد والتأمل بدون عنوان، عدتها ٤ أبيات

ب- أجزاء من قصائد كاملة ، مثل: مقطوعات: "الشاعرة" من قصيدة "حنان"- "وحي الشاطيء" من قصيدة تحمل نفس العنوان.

الثاني: قصائد الكاملة.

ويلاحظ على هذه القصائد والمقطوعات تكرار نشر الشاعرة لبعضها أكثر من مرة، مع تغيير لبعض المفردات والجمل، بل والعنوان، أحيانا، كما ستأتي الإشارة في هوامش الديوان.

---

(١) صدرت له عدة طبعات تالية عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، أعوام ١٩٩٩، ٢٠١٠، ٢٠١٢، الأول والثالث في في مكتبة الأسرة.

٢- قصائد الديوان:

١- في الحنين إلى دمياط

دمياطُ حبُّك حركتْ أشجانُه آلامَ قلبٍ في الغرام مصفَّدِ[١]

٢- كلمة إلى زعيمة الشرقيات

السيدة " لبيبة أحمد"

النهضة النسائية –ع ١٠– السنة ٦، ربيع الثانى ١٣٤٧ه، أكتوبر ١٩٢٨م–ص٢٤٧.

(نشرت في باب المراسلات آخر العدد)

قومى فتاةَ النيل ثم تقدمى ** "للبيبة " والشكرُ يملأ فاكِ
قولى لها: أنت التى أنهضتنا لولاكِ نمْنا دائمًا لولاكِ
لا تيأسى ، يا بنتَ مصرَ فإنها كنزُ البلاد وكعبةٌ لرجاكِ
"يا بنتَ أحمدَ " يا مَحَطَّ رجائنا أنقذتنا فإلهُنا يرعاكِ
أيقظتنا من رَقْدة وجهالة وحميتنا من وحشة وهلاكِ
أنشأتِ "نهضتَكِ" المباركةَ التى جعلت فتاة النيل فى إدراكِ
مرحى بنهضتك التى قد أثَّرتْ تأثيرَها يا من "جُعلت فداكِ"
أبْعَدْتِ ثوبَ النوم عنا كلِّنا فالجهلُ أصبح خائفًا يخشاكِ
أرضعتِ "زينب" ثدىَ علمٍ طاهر أما قمر: فطبيبةُ الهُلَّاكِ[٢]
هذى تُغَذِّى النَّشْءَ علمًا نافعًا والبدرُ تنقذ من أذًى فتَّاكِ
فغدوتِ للفتيات ذُخْرًا صالحًا فالكُلُّ يهوى أن يكون فداكِ
أدعو الإلهَ إلهَ الخلقِ كلهم أن يسْعِدَنى عاجلًا بلقاكِ[٣]
فلقد غدوتُ إلى لقائك أَحْتَسِي كأسَ العذاب لأننى أهواكِ
فَسَلِى إلهَك " بنتَ أحمد" دائمًا أن يُبْقِيَنَّ حياةَ أختِ "سَمَاكِ"
نادى وقولى: ربِّ أَطْوِلْ مدتى "حاشا لربى أن يردَّ نِداكِ"
"ألبيبةٌ" يا فخرَ مصرَ تقبلى منى سلاما لائقا بعلاكِ

دمياط– بنت الشاطيء

(١) ذكرت د. بنت الشاطيء في سيرتها الذاتية "على الجسر بين الحياة والموت" الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة ١٩٩٩، ص ٦٤ أنها أنشدت هذه القصيدة وقصيدة "زوجة الصياد" في اختبار الشفهي في شهادة كفاءة المعلمات، وكان عمرها آنذاك خمسة عشر عاما.

(٢) يقتضي وزن الكامل في القصيدة تسكين كلمة "قمر" ليستقيم.

(٣) الوزن في الشطر الأول انحرف منها إلى البسيط، ولابد من يقرأ"يسعدني" بنون التوكيد المشددة ليستقيم الوزن.

٣- الحنـــــــان

عائشة عبد الرحمن

ع٥ السنة العاشرة ، مايو ١٩٣٢م، ذو الحجة ١٣٥٠هـ

نظـرت فـى حرقـة نحـو السماء نظـرة تحـوى تـضاعيف الأمـل
أى شـىء تبتغـى وَسْـطَ السماء لـست أدرى ... فلمـاذا لـم تـنمْ
ويقينـى أنهـا عنـد المساء وحـدها تـشقى بنفثـات القلـم...

* * *

سـمعت صـوتًا ضـعيفًا راعهـا فجـرت فـى خفـة مثـل الغـزال
وقفـت – يـا حـسنها – فـى صـمتها فجـرت فـى خفـة مثـل الغـزال
أنـصت فـى لهفـة مـن قلبهـا وخمـود الـضوء يعطيهـا الجمـال

* * *

أى صـوت هاجهـا بعـد الهـدوء صـوت عـصفور صـغير فـى بكـاء
إنـه يبكـى ، ولكـن فـى سـكون دون دمـع أو نـشيج أو عـواء..
همـسة فـى ضـعفها مثـل الأنـين تتلاشـى بـين طيـات الهـواء
قـد يظـن النـاس فيهـا فرحـة وهـى تـدرى أنهـا صـوت الـشقاء..

* * *

خطـرت نحـو الحديقـة مثلمـا تخطـر الأشـباح فـى ذهـن الـصغير
إنهـا تخـشى كثيـرا عنـدما ترفـع الـصوت فتهتـاج الطيـور
مـشية .. فيهـا حنـان .. طالمـا ظنهـا الطيـر حفيفـا أو خريـر ..

* * *

وجـدت عـشا صـغيرا فـى الغـصون فيـه عـصفور مـن الـضعف نحيـل
يبتغـى الجـو فيهـوى فـى سـكونْ مثلمـا يهـوى مـن الـسقم العليـل
أمـسكته فـى حنـان.. وحنـين أدهـش الطيـر فنامـت فـى ذهـول

* * *

كل ما فى جنبى حب وحنان
أيها الطير فثق بى واطمئن
كله حب وتفانْ
أبذل النفس وروحى والبدن
سوف لا تقدر غيرى
أن تريك العطف فى وقت الشقاء
كن عليما أن صدرى
فيه كنز لن يضيعه الفناء
وحنانى يجعل الأثرة دوما
لست أبغى غير إرضاء الضمير
وستشقى إن فررت اليوم حتما
فالقط الحب ولا تبغ الفرار
لست أرجوك لنفسى !
إنما أرجو شفاءك
تلك أمنية أمسى
وغدى واسأل فؤادك
***
يا صغيرى لا تخف إنى أحبك
سوف أطعمك الحب وأرعاك بحبى ..
استكن واهدأ فما أطلب أسرك
حينما تغدو قويا سوف أسحق قلبى ...
لن أدعك سجينا فى عذاب
كى أسلى النفس من عذب غنائك
املأ البيت بتغريد الشباب
ثم دعنى حينما تأتى قواك
هاك عهدى أيها الطير الجميل

٤- لست أدرى !!

عائشة عبد الرحمن

مجلة النهضة النسائية-ع٧- السنة العاشرة ، يوليه١٩٣٢م، صفر ١٣٥١ه-ص٢٤٤-٢٤٥.

١- ضحك الناس وقالوا مالها تبكى دَواما؟[١]
مالها لا تمنح الدنيا غَرامَا وابتساما؟
أتُراها وحدَها تبغى هدوءًا وسلاما
أم تُراها فى ضلالٍ.. سائلوها ! لست أدرى

*****

٢- ساءَلونى أىُّ شىء قد أهاج الدمع منكِ؟
قلت لا أدرى ولكن يعترينى كلُّ شىءٍ!
فاتركونى لا أبالى واضحكوا ما دمت أبكى
أتراكم تفهمون الدمع قومى؟ لست أدرى

*****

٣- اتركونى فى دموعى فهى لى وحدى عزاءْ
ودعونى أَنْشُدُ الوَحْدةَ فى بطن الخلاء
هذه الدنيا ضلالٌ فى ضلالٍ وشقاء
أَحَسِبْتم أنها دارُ الأمانى؟ لست أدرى

*****

قد ضللتم فى هواكم فاتركونى فى شقائى
علّنى ألقَى نعيما فى شجونى وبلائى
هل ظننتم أننى أبغى بديلًا عن بكائى؟
أم ظننتم أن فى اللهو دوائى؟ لست أدرى

******

طالما قلتم سلوها أىُّ حزنٍ قد عَراها
هذه البسمة تبدو كعذاب فى شفاها

---

(١) جاء ترقيم المقاطع الثلاثة الأولى في المجلة كما هو مثبت بالأرقام، ثم خلت المقاطع بعد الثالث من الترقيم، وليس عندي تفسير لهذا.

عـــن حنـــانٍ تـــسألون اليـــوم عـــن أصـــل بكاهـــا؟
أم هـــى الرغبـــة فـــى كـــشف المخـــابى؟ لـــست أدرى

****

هـــا فـــؤداى فـــى عـــذاب دائـــم لا يـــستريحْ
مـــا ابتـــسامُ المـــرءِ منَّـــا وهْـــو ذو قلـــب جـــريح
وارتيـــاحى لـــستُ أبغيـــه لـــديكم بالـــصريح
فلمـــاذا تـــسألونى عـــن بكـــائى ؟ لـــست أدرى

****

تلـــك نفـــسى تـــبغض اللهـــوَ أراهـــا
وهـــى نفـــسى وهـــى لـــى وحـــدى اتركوهـــا
مـــا هـــى الـــدنيا ومـــاذا يجـــذب الـــنفسَ إليهـــا
هـــل تراهـــا تحتـــوى غيـــرَ البلايـــا ؟ لـــست أدرى

******

تلـــك نفـــسى وأراهـــا للهـــوى لا تـــستنيمْ
تعـــشق الوَحْـــدة فيهـــا كـــلُّ خيـــرٍ ونعـــيم
وحيـــاةُ المـــرءِ بـــؤسٌ أو نعـــيمٌ لا يـــدوم
فلمـــاذا يتفـــانى فـــى هواهـــا ؟ لـــست أدرى

****

هانـــت الـــدنيا عَلَيهـــا و علـــى الحـــرِّ تَهُـــونْ
ليـــت شـــعرى بعـــد دفنـــى فـــى الثـــرى مـــاذا أكـــون
خبِّرونـــى مَـــنْ أنـــا ثـــم اســـألوا مـــا ترغبـــون
هـــل علمـــتم مـــا مـــصيرى بعـــد هـــذا ؟ لـــست أدرى

****

قـــد خلقنـــا مـــن تـــرابٍ فـــإلى التُـــرب نعـــودْ..[1]
هـــذه الأجـــسام منَّـــا لِلْبِلَـــى لا للخلـــود
فلمـــاذا نخـــدع الـــنفس بـــوَهْمٍ ســـيَبِيد
ولماذا نخدع النفس دوامًا ؟ لست أدرى

*****

(1) أعيد نشر هذا المقطع منفردا في ع٨، أغسطس ١٩٣٤، السنة الثانية عشرة، ص٢٧٢.

سـوف يمشى نسلُنا فوق ثرانا
مثلما نمشى جميعًا فوق أجساد أبينا
هكذا الدنيا كما تجزى جزينا
أَلِغَيْرِ الدودِ نحنُ يا رفاقى ؟ لست أدرى ..

****

هذه الأرض أراها تُخرِجُ الخيرَ الدفينْ
مُشْرَبًا بالدَّمِ مِمَّنْ سبقونا فى السنين
تنبت الخيرات فى الأرض غِذاها هل يكون
غيرَ أجسامِ الجُدودِ السابقين ؟ لست أدرى..

****

غَرّكم منها نعيمٌ عن قريب سيزولْ
فمضيتم فى عماكم مثلَ حمقاءَ جَهُول
غَرَّها ضوءُ اللآلي بين أنيابِ الوَبال
فى فَمِ الأفعى فماذا قد دهاها؟ لست أدرى

****

قد عجزنا مثلما كانوا قديما عاجزين
وسيبقى العجز حتمًا للذرارى المقبلين
أقنعونى .. هل علمتم كُنْهَها علمَ اليقين
أم حللتم لغزها بالترهات؟ لست أدرى

عائشة عبد الرحمن

٥- زوجة الصياد*

نشرت بمجلة النهضة النسائية ع ٩، السنة العاشرة، سبتمبر ١٩٣٢- ربيع الثاني ١٣٥١هـ "

مهداة إلى سمائي التي أستلهمها الوحي، والتي لاأنكر أن يكون لها – مع أنوارها- سحاب ورعد وبرق"

ألا تقف الريحُ يا ويحَها ليسمع صوتي حبيبٌ شريدْ
تثور الرياح بصوت له دويٌّ يعوق صداه البعيدْ
أبَيْنَ الثلوج حبيبُ الفؤاد يقاسي هناك العذابَ الشديدْ
ينادي:الغياثَ، فترنو له عيون الهلاك بلَحْظِ الوعيدْ

يناجي خيالي ويهفو إلَى مكاني بقلب محب مريدْ
أقدم روحي فداءً له بصدرٍ رَضِيٍّ وقلبٍ سعيدْ
فدته حياتي.. أيَلْقَى الردى هناك ويقضي قضاءَ الشهيدْ؟
يقاسي عذابا له رهبةٌ تُشَيِّبُ رأس الرضيع الوليدْ

لقد قلت لما تراءى له ذَهابٌ إلى الغاب كَيْما يصيدْ
أقِم حيث أنت أيا مهجتي ولا تبتغ الصيدَ وسْط الجليدْ
ولا تترك الدفء زهدا له ودعني أنفذ رأيي السديدْ
تمتعْ بدفء حناني إذا أصاب لظى الجمر داءُ الخمودْ

أجاب وفي فمه بسمةٌ أرتني خيال الغرام الأكيدْ
أأشعر بالبرد يا طفلتي وصدري يكن أحر الوقودْ
أأخشى الظلام وعمري به أروح وأغدو بقلب حديدْ؟
دعيني ونامي ولا تجزعي فعند المساء يقينا أعودْ

مضى الصوت إلا هديرَ الرياح تنادي الثلوجَ ألا من مزيدْ

(*) أعيد نشرها في مجلة الأسبوع، في عدد نسائي خاص، ع٢٤، السنة الأولى، الأربعاء ٩مايو ١٩٣٤- ص١٩.

وآوى الجميع إلى دورهم وزوجي هناك شقيٌّ وحيدْ
وحتى الطيورُ استنامت إلى دَفِيءِ الغصونِ اتقاءَ الجليدْ
وعَمَّ السكونُ جميعَ الدُّنا وساد الظلامُ ولمَّا يعودْ

ألا أيها الريحُ رفقًا بنا وكوني رسولا إلى مَنْ أريدْ
لقد ذُبْتُ وجدًا وذاقَ الردى كلانا شقيٌّ جزوعٌ فريدْ
كلانا شقيٌّ يود المطير إلى حيث يلقى الحبيب العتيد
ينادي أخاه بصوتِ الهوى فيُخْفِي النداءَ الهواءُ اللدود

تُحملق عيناي وسط الدجى لتنظر أين الحبيبُ الفقيدْ
وروحيَ تسبح وسط الفضا تود العثور بقلب مجيدْ
وأغلب ظني أن الحبيب يقاسي كثيرا وقربي يريدْ
كلانا يود اقتراب المنى ودون الأماني زمانٌ عنيدْ

مضى الليل إلا قليلا وما رأيت خيالَ الحبيبِ البعيدْ
وما ذقت نوما طوال المساء وكيف ينام الشريد الطريد
أخاف الدخولَ إلى كُوخنا ففيه معالمُ ماضٍ سعيدْ
وفيه التذكرُ يَهْتاجُني فيا لَهْفَ نفسيَ هلَّا يعودْ

نهارٌ طويلٌ يُثيرُ الجَوَى وحرَّ الشجون فهل مْنْ جديدْ
وليلٌ طويلٌ أقاسي به عذابَ انتظارِ العزيز الشريدْ
إذا ما مضى الليثُ يا لوعتي فمن يحرس الغابَ؟من ذا يذودْ؟
وكيف الحياةُ إذا ما مضى حُرِمنا غذاء الغرام الأكيد

ستمضي الليالي وإني هنا بمثل مكانيَ حتى يعودْ
ستمضي الليالي ببطءٍ وما أُبارح حزنيَ حتى يعودْ
أودُّ السهادَ ليقضي علي حياتي كفعل الهلاك المُبيدْ
وأرجو التعذُّبَ في وَحْدتي لأُودِعَ حبي سِجِلَّ الخلودْ

٦- الحورية الأرضية[١]

نشرت في مجلة النهضة النسائية ع٣،السنة الحاديةعشرة،مارس١٩٣٣-ذوالقعدة ١٣٥٠هـ،ص٨١.

ابنة الشاطئ

فإذا ضحكتِ أرى السماء صَبوحةً وإذا بكيتِ أرى الغيومَ تَلَبَّدُ
وإذا بدا منكِ ابتسامٌ أو رضا فالزهرُ يَبْسُمُ والطيور تُغرِّد
والروض إنْ أَنِسَ ابتسامَك خِلتُه يهتزُّ من فرط السرور ويُنْشِد
هذا جماد قد ملكتِ زمامه فسلى فؤادى بعد ذا هل يَجْمُد؟

٧- الوداع[٢]

نشرت بمجلة النهضة النسائية، ع١٠ سنة، ١١، أكتوبر ١٩٣٣م- جمادى الثانى ١٣٥٢هـ.

ابنة الشاطئ

وتساءلَتْ والدمعُ يملأ عينَها هل عند بُعدكِ للعزاء سبيلُ؟
فأجبتُها والحزنُ يَقْطَعُ مهجتى كيف السلُوُّ وغَيْبَتى ستطول

[١] أعيد نشرها في مجلة الأسبوع، ع٣٦، السنة الأولى،الأربعاء ١أغسطس ١٩٣٤م. ثم نشرت مرة ثالثة في مجلة النهضة النسائية ع ٧، السنة الثانية عشرة، يولية ١٩٣٤.

(٢) أعيد نشرها بعنوان "ساعة الوداع" في مجلة النهضة النسائية، ع٥، السنة الثانية عشرة، مايو ١٩٣٤- المحرم ١٣٥٣هـ.

٨- صفحة خالدة[١]

نشرت بمجلة النهضة النسائية، ع٣، السنة ١٢، مارس ١٩٣٤- ص٨٣-٨٤.

يـــا منهلًـــا عـــذبًا عليـــك زحـــامُ فَبِنُـــورِ علمـــك زالـــت الظلمـــاءُ
عالجْـــتَ جُرْحًـــا بالجهالـــةِ داميًـــا وبغيـــرِ طِبِّـــكَ كـــان فيـــه الـــداء
أوْجـــدت لاســـمك فـــى الـــبلادِ مكانـــةً عليـــاءَ فيهـــا رفعـــةٌ وســـناء
شـــاد الجميـــعُ بـــذكرِ عـــدلِكم الـــذى عـــمّ الـــبلاد وكـــان فيـــه عـــزاء
وحَبَتْـــكَ مـــصرُ مكانـــة مرفوعـــة إن الرقـــيَّ للاجتهـــاد جـــزاء
قـــد أســـلمتك رقابـــةً ثقـــةً بكـــم فاهنـــأ بمجـــدٍ حـــق فيـــه رجـــاء
جاهـــدت للمجـــد الرفيـــع ولـــم يكـــن يثنيـــك عنـــه مـــشقة وعنـــاء
آثـــرت مـــصر علـــى هـــدوئك كلـــه وســـعيت حتـــى زال عنهـــا بـــلاءُ[٢]
وظللـــت تبغـــى مجـــدها متفـــائلا ومجاهـــدا لا يعتريـــك ونـــاءُ

*****

كانـــت بنـــات النيـــل يجهلـــن العـــلا وحيـــاتهن جهالـــة وشـــقاء
نهـــضت فتـــاة الغـــرب تبغـــى مجـــدها حتـــى أتتهـــا رفعـــة شـــمّاء
بَيْنَـــا فتـــاة النيـــل ترضـــى جهلهـــا والجهـــل فيـــه مذلـــة وفنـــاء
فـــى مـــصرَ مِـــنْ جهـــلِ البنـــات تَقَهْقُـــرٌ ومـــع التقهقـــر حطـــة وبـــلاء
كـــان الـــشقاء قبيـــل عهـــدك شـــاملا والعلـــم يهـــدى والجهالـــة داء
حتـــى ارتقيـــت إلـــى الرقابـــة فـــاتمحى عهـــد الـــشقاء وزالـــت البأســـاءُ
ونـــشرت تعلـــيم البنـــات بقطرنـــا والعلـــم للعقـــل الجهـــول شـــقاء

******

عـــودتهن الرفـــق والعطـــف الـــذى هـــو للفقيـــر ســـعادة وهنـــاءُ
فمـــضين يمـــلأن المَلاجـــئَ رحمـــةً ويُنِـــرْنَ مـــصرَ وللعلـــوم ضـــياء

---

(١) تمدح فيها بنت الشاطيء صاحب العزة محمد الحسيني مصطفى بك بمناسبة زيارته لملاجيء الأيتام، وهو قد عرف بحرصه الشديد على تعليم الفتيات ونشر الثقافة النسوية الحكيمة من خلال فتح مدارس البنـات ونـشر التعليم، كما أشارت بنت الشاطيء في تقديم نثري لهذه القصيدة.

(٢) الشطر الثاني مكسور، ويمكن تسليم وزن الكامل فيه أن تكون صياغته: "وسعيت حتى زالت اللأواءُ".

هتف اليتامى حين نالوا عطفكم أيكون للبؤس المرير بقاء
ماذا ... أَنَشْقَى والمراقبُ عطفُه فاضت بفضل نعيمه الأنحاء
بعض القلوب يسيل عطفًا ساميًا ومن القلوب حجارةٌ صمَّاء
الله أرسله يخفف بؤسنا فهو الذى للمُعْوزِين رجاء

****

فى وجهك السامى تلوح شهامة يكسوك منها روعة وبهاء
ويفيض صدرك رحمةً وعدالةً ومع العدالة همةٌ قَعْساء
طَوَّقْتَ مصر بنعمة لن تنمحى فانظر... فعهدك فى البلاد رخاء
واهْنَأْ فذكرُكَ فى الكنانة عاطرٌ أبدًا وصفحةُ عهدكم بيضاء

آنسة ع. ع

٩- وحي الشاطيء

نشرت بمجلة النهضة النسائية، ع ٦ ،
السنة الثانية عشرة، يونية ١٩٣٤. ص ١٨٥.

فقدتُ ببعدك يا بلدتي فؤادًا قويًّا كثيرَ الظفر[1]
وبُؤْتُ بقلب به حرقةٌ ودمعٍ كثيرِ الجوى منهمر
وطرفٍ شرودٍ كثيرِ الأسى إلى الأفْقِ دومًا يطيل النظر
يفتش في الجو عن مأرب خفيٍّ ويخشى ضلالَ الأثر

١٠- وحي الشاطيء

نشرت بمجلة النهضة النسائية ع٩

السنة الثانية عشرة-سبتمبر ١٩٣٤- ص٣٠٧-٣٠٩

يا دهر

أَبَيْتَ السعادة فاغنم بها وهاتِ شقاءَك وابدِ العبرْ
وشَيِّعْ شقاءك تلو الشقاء فإني أَلِفْتُ صنوفَ الغِيَر

(1) ورد هذا المقطع من القصيدة مرة ثانية في أول القصيدة التالية "وحي الشاطيء" منفصلا عن سائرها، مصدرا بقول المجلة أنها نشرت هذه الأبيات منذ عهد قريب، وأن أحد القراء الأفاضل، الأستاذ أبا عبد الله، قام بتشطيره، وأوردت المجلة هذا التشطير، ثم أتبعته بالقصيدة كاملة. انظر ص ٣٠٧ من العدد ٩ سبتمبر ١٩٣٤.

ثمانٍ وعشرٌ بمهد البلاء تقرِّبُ صبرًا مهما نَفَر

أيغني البكاء؟

بكيتُ اللقاءَ فما جاءني سئمت البلاء فما يزدجرْ

فعدت أعاتب نفسي على بكاءِ نعيمٍ لم يستمر

لماذا البكاء على ما مضى لماذا البكاء على ما يَمُرّ

خُلقنا بقلب به رقةٌ يذوب عذابًا إذا ما انكسر

ودهرٌ ظلومٌ له صولةٌ وقلبٌ تَصلَّبَ مثلَ الحجر

فَفِيمَ البكاءُ وفِيمَ الأسى أذلك يُذهِبُ نارَ الضَّجَر[1]

أيغني البكاء؟ إذن ليته يَقَرِّبُ صبرًا مضى واندثر

هدوء وجلال

بِعادُك دمياطُ بعضُ الذي أقاسي جواه وأشكو الضررْ

رأيت جمالَك مثلَ الزهور وحسنَ هدوئك مثلَ السَّحَر

أَلِفْتُ هدوءَك حتى إذا تركتُك كنتُ كَمَنْ ينتحر

حب وحنين

عشقتُك بالقلب يا بلدتي ومثلي تُحِبُّ فلا تصطبرْ

رضَعتُ غرامَك حتى إذا كبُرتُ نما ذا الهوى وازدهر

وأصبح مني كماء الحياة أو الدمِ يجري طولَ العُمُر

دَفِئْتُ بعطفك يا بلدتي كدفء الرضيع إذا ما ادَّثَر

نعِمْتُ بضحكك هذا الذي يُزيلُ العذاب ويمحو الضجر

فمَنْ لي بدفئك وقتَ القِرَى ومَنْ لي بضحكك وقت الضجر

ومَنْ لي بعطفك وقتَ الأسى يخفِّفُ عني جوىً مستعر

---

(١) نشرت الشاعرة هذا البيت والذي يليه في مجلة النهضة النسائية ع ٥ ، السنة الثانية عشرة، مايو ١٩٣٤–المحرم ١٣٥٣هـ، بعد قصيدة بعنوان"الكيس الضائع"الشاعر سُرِق كيس نقوده وهو يتسلى برؤية قرد، كأن الشاعرة تواسيه بهذين البيتين تعليقا على قصيدته. وقد =ختمت بنت الشاطيء بالبيت الثاني منهما"أيغني البكاء.." مقالا لها في ع ٨ من مجلة النهضة النسائية، لنفس العام، بعنوان "خسارة لا تعوض" عن وفاة مدام كوري، العالمة الفرنسية في جامعة السربون، والحاصلة على جائزة نوبل في العلوم وعضو المجمع الطبي الفرنسي، والتي ساعدت بجهودها البحثية في اكتشاف عنصر البولونيوم ثم عنصر الراديوم.

ظمئْتُ لمائك إني هنا أحسُّ بماء مريرٍ عكِر
فقدتُ بِبُعْدِك يا مهجتي فؤادًا قويًّا كثيرَ الظفر
وبُؤْتُ بقلبٍ به حرقةٌ ودمعٍ كثيرِ الجَوَى منهمر
ووجهٍ عَبوسٍ به بسمةٌ كمثل المريض إذا ما احتُضِر
وطرفٍ شَرودٍ كثيرِ الأسى إلى الأفق دومًا يُطيلُ النظر
يفتش في الجو عن مأرَبٍ خَفِيٍّ ويخشى ضلالَ الأثر

الصمت القهري

فلو ألتقي بك يا بلدتي تَرَيْنَ نُحُولًا يُذيبُ الحجرْ
ولو تنطقين وهذا محالٌ تُخفِّين عني دوامَ السهر
صَمَتِّ اضطرارًا وإني أرى لِصمتك معنىً كثيرَ العِبَر
يراه فؤادي ونفسي معًا كَـــــسرٍّ يُحَيِّرُ عقلَ البشر
وفي الصمت نطقٌ قريبٌ لنا بعيدٌ عن الخَلْقِ بُعْدَ القمر

القناعة القهرية

قَنَعْتُ بذكرِك يا مرتعي وحبُّك حبٌ قويُّ الأثرْ
قنعتُ اضطرارًا وقهرًا بما ذكرتُ وذلك حكمُ القدر
كَمِثْلِ المريضِ يَوَدُّ البقاءَ ولو كان عَيْشًا كثيرَ الخطر
ومثلِ المُحبِّ قنوع بما يلاقيه حتى عذابِ السهر
يلاقي الهوان فيرضى به رضاءَ العليم بظلم البشر
كذاك الغريقُ رضيٌّ بما يقاسيه بعد زوال الخطر
كمثلي قنعتُ بذاك القليل وإني عليه أُديمُ الحذر

عذاب وخشية

أَيُدْهَشُ غيري لِما نالني وبُعْدُك عني عظيمُ الخطر
يَرَوْنَ نُحُولي دليلَ الأسى وشدةَ صمتي دليلَ الفكر
يلوح بوجهي عذابُ النوى وبين ضلوعي عذابٌ أَمَرّ
وإني لأخشى انفجارَ الأسى إذا ضاع صبرٌ لنا مُدَّخَر

كطَلٍّ يلوح قصيرَ المدى ويُعْقِبُ غيثًا غزيرَ المطر
وإني لأخشى انهيار المنى وفقد الأماني ففقدَ البصر
أحبكِ حبًّا بعيدَ المدى تجافته جهلًا قلوبُ البشر
أَضَلُّوا الطريقَ وجاءوا بما يُسَمَّى رياءً سريعَ الغِيَر
وجاءوا بحب سريع البلى وسموه ظلما غراما نضر
بحبكِ أحيا أيا مهجتي وذكرُك أُنْسي طوال السفر
ذكرى وأنين
فهل تذكرين أيا بلدتي لياليَ سحرٍ محاها القدرْ
طواها القضاءُ كَطَيِّ الكتابِ وأيُّ نعيمٍ لنا يستقر
دعاها الفناءُ فسارت له وجاء الشتاء فهل يستمر؟
أحس دَوَامًا بِبَرد النَّوى كأن الحياةَ ظلامٌ نُكُر
ألا تذكرين فتاةً مضت وسحرًا تَقَضَّى وعهدًا غَبَر
وأيامَ كنتُ بأرضكِ في سعادةِ أجْهَلُ معنى الضرر[1]
طليقةً كالطير لا أشتكي همومًا تشوِّهُ عهدَ الصِّغَر[2]
أناجي الربيعَ بشِعْرِ الصِّبا كما الطيرُ يصدحُ فوق الشجر
أتنسيْن ذلك يا بلدتي ومثلُك يهوى الوفاءَ العطِر؟
أتنسيْن ذلك؟ أما أنا فلازلت رغم النوى أَذَّكِر

ابنة الشاطيء

(1) الهمزة في "أجهل" تكسر وزن المتقارب، وجعلها همزة وصل ، أي"اجهل"، يقيمه.

(2) الشطر الأول مكسور. وكان يمكن صياغته: "طليقًا كطيرٍ فلا أشتكي" حتى يستقيم وزن المتقارب. ويلاحظ إجمالا على القصيدة ضعف الصياغة وبساطة المعاني ومباشرتها، شأن البدايات في معظم التجارب الشعرية.

١١- أ- إلى صاحب الجلالة ملك مصر المفدى الملك "فؤاد الأول"

بمناسبة عيد جلوسه السعيد

مجلة النهضة النسائية-ع ١٠-السنة ١٢- أكتوبر ١٩٣٤م

حـــامِيَ العلـــم وفخـــرَ المتقـــينْ سـيفُك الماضـــى أبـــاد الملحـــدينْ
قـد نـصرت الـدين مـن كيـد لهـم وكفيـتَ العلـمَ شـرَّ المفـسدين
زعمـوا الـدينَ نقيـضًا للعُلَـى فَلْنَـدَعْهم فـى ضـلالٍ يعمهـون
دُمْـتَ للـدين وللعلـم حِمًـى يـا إمـامَ العلـم والـدين المَـصون

عائشة عبد الرحمن

١١- ب - وحي الشاطيء

التوبة (٢)

نشرت مجلة النهضة النسائية-ع١٠- سنة١٢- أكتوبر١٩٣٤م، ص٣٣٠.

كـان حلمًـا لاح ليلًـا بُرْهـةً لـم يَـدَعْ إلا رسـومًا دارسـاتْ
فـاترك الـذكرى فـؤادى لحظـة لا تكـن دومـا قتيـل الـذكرياتْ
إن فـى الـذكرى فـؤادى لوعـةً هـى أنكـى مـن لهيـب الجَمَـراتْ
تتـركُ القلـب فـؤادى شـعلة يتلظَّـى مـن لهيـب الزَّفَـراتْ
وارجُ فـى النـسيان قلبـى رحمـة وتعلـم أنَّ مـا قـد فـات مـاتْ

ابنة الشاطيء

١٢- وحى الشاطئ

نشرت بمجلة النهضة النسائية-ع١-السنة ١٣- يناير ١٩٣٥- ص١٣.

كـان حلمًـا كـاد بالعقـل يغيـبْ يـا فـؤادى فـاتْجُ مـن هـذى الـسمومْ
قـرِّب المجهـر مـن أمـس القريـب واقـرأ الـدارس مـن تلـك الرسـوم
هل تـرى فـى الأمـس قـطُّ مـا يطيـب كلـه بـأس وبـؤس وهمـوم

ابنة الشاطيء

١٣- في موكب النصر:

بنت الجزائر

تحية إلى المجاهدتين جميلة بوحيرد وزهرة بوظريف

من بنت الشاطيء

نشرت في جريدة الأهرام ١٦أكتوبر١٩٦٢(مج٢-٣أرشيف الأهرام)

***

أختُ يا بنتَ الجزائرْ

كلُّ ألفاظٍ لنا تبدو هزيلة

عندما نرفعها إلى عالي مقامكْ

والمعاني الخصبة الكبرى الجليلة

تتراءى شِبْهَ صمَّاءَ عقيمة

حين تدنو، في خشوع، من رحابك

***

أختُ يا بنتَ الجزائر

أمسِ...والليل بهيمُ

وظلام الليل داجٍ مُدْلَهِمُّ

كنتُ أدري ما أقول

كنت أهتف أن أختي في الجزائر

تمضي وفي يدها المصير...

لا في يدٍ أخرى بباريسَ، أو ببلاد العم سام

كنتُ أهتف في عناد الكبرياء:

أن أختي في الجزائر

أختي جميلة، زهرة بوظريف

والأخريات

كل أخت في الجزائر

في كل حي، بل كل شبر،من حمى الوطن العزيز

قد قررت هذا المصير لقومها

من وقت أن بدأ الكفاح

***

لا البَغْيُ يُثْنيها عن الهدف النبيل
لا النارُ، لا التعذيبُ، لا أفاعيلُ الوحوش...
بل لا المشانقُ، لا المذابحُ، لا المخزيات المنكَرات
لا شيءَ من هذا، لاشيء قطُّ
بمستطيعٍ صرفَها
عما أرادت للجزائر
تمضي وفي يدها المصير
تمضي بكل جلالها وإبائها
رمزَ البطولة والكرامة والشرف...
لِتُعَلِّمَ الأُلى انتهكوا حقوق الآدمية
ألا مكان لشِرْعة الغاب الدنية
في أرضنا
مهدِ النبوة والرسالة والبطولات الكُبَر

***

أختُ يا بنت الجزائر
أمسِ والليل بهيم
كنت أدري ما أقول
والآن يَبْهَرُني جلالُك
فأعود مُلْجَمةَ اللسان
البيانُ اليومَ قد صار عَصيًّا
كلما حاولتُه ألفيتُه شَقَّ عَلَيَّا
كان حتى هذه اللحظة طَوْعَ لساني
ويَدَيَّا
ثم لما جئتُ أشدو لك يا بنت الجزائر
أبطل السحرَ البيانيَّ ضياؤك
فإذا الألفاظ حيرى في شفتيَّا

***

أختُ يا بنت الجزائر
يَظلم القائلُ أنكِ رمزُ العربية
أنت رمز الجوهر الحر لهذي البشرية
أنت رمز الطهر فيها والإباء
رمزُ كلِّ الخير فيها والجمال
أنت يا أجملَ زهرة
أنت يا أعذب نغْمة
أنت يا أروع رؤيا
في ضمير البشرية
اسمك الغالي على كل لسان
يبهر الدنيا على مر الزمان
طيفك القدسي في كل مكان
يبعث النشوةَ فينا عبقرية

فإذا ما عدتِ يا أخت إلى أرض الجزائر
قَبِّلي طَيْبَ ثراها
صافحي لي كلَّ أهلي في الجزائر
اسجدي، عني، على الأرض الزكية
باركَتْها روحُ مليونِ شهيد...
يُبْعَثون اليوم في موكب نصرِك
مِلْءَ مجدٍ، وحياةٍ، وخلود

أخت يا بنت الجزائر
كل ألفاظ لنا تبدو هزيلة
عندما نرفعها إلى عالي مقامك
والمعاني الخصبة الكبرى الجليلة
تتراءى شبه صماء عقيمة
حين تدنو في خشوع من رحابك

١٤- رؤيا[١]

طَيـــــفُ مَـــــنْ أحببتُـــــه طـــــاف بنـــــا
فتنبهنـــــا علـــــى وقـــــع خُطـــــاه
خِلْتُـــــه قـــــد آب مـــــن رحلتـــــه
مُرْهَـــفَ الـــشوق وقـــد طـــال سُـــراه
بعـــد يـــأسٍ مـــن رجـــاء الملتقـــى
بلـــغ البـــينُ بنـــا أقـــسى مـــداه
فطوانـــا الليـــل فـــي كهـــف الأسـى
نَحْتَـــسي الوحـــشة مـــن كـــأس دجـــاه
شَـــدْوُنا نَـــوْحُ غـــراب نـــاعق
والنَّـــدَامَى البـــومُ مـــن قـــاعِ فـــلاه
جثمـــتْ فـــي الكهـــف لا تَبْرَحُـــهُ
واطمأنـــت بعـــد أن سَـــدَّتْ كـــواه
وانكفأنـــا فـــي غيابـــات الـــدُّجى
نغـــزِلُ الظلمـــةَ خيطًـــا لا نـــراه
ونَـــسَجْنا منـــه أكفانًـــا لنـــا
حـــين لـــم يَبْـــقَ لنـــا خـــيطٌ سِـــواه
وانزوينـــا فـــي مهـــاوي كهفِنـــا
عافنـــا المـــوتُ، وعافتنـــا الحيـــاه

***

(١) بنت الشاطيء، د. عائشة عبد الرحمن: على الجسر بين الحياة والموت-سيرة ذاتية. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ١٩٨٦. ص١٥١.

لـــــم نكـــــن نِمْنـــــا، ولكـــــنْ غَفْـــــوةٌ

مـــــن كـــــلالٍ نـــــالَ مِنَّـــــا مُنتهـــــاه

هجـــــع الـــــسُّمَّارُ فيهـــــا بُرْهـــــةً

وغفـــــا النـــــاعق يَجْتَـــــرُّ صـــــداه

***

فجـــــأةً نَبَّهَنـــــا مِـــــنْ غَفْوِنـــــا

رَجْـــــعُ إيقـــــاعٍ أليـــــفٍ مِـــــنْ خُطـــــاه

وتَهَـــــادَتْ نحوَنـــــا أنفاسُـــــه

تحمـــــل البـــــشرى لنـــــا عطـــــرَ شـــــذاه

رَدَّتْ الـــــروحَ إلـــــى أشـــــلائنا

وسَـــــرَتْ فـــــي قلبنـــــا نـــــبضَ حيـــــاه

فاســـــتبقنا البـــــاب لاســـــتقباله

وعلـــــى الأُفْـــــقِ شـــــعاعٌ مِـــــنْ سَـــــناه

لمحـــــةٌ مِـــــنْ ناظِرَيْـــــهِ بَـــــدَّلَتْ

مـــــا كـــــسانا الليـــــلُ مـــــن ثـــــوبِ عَمَـــــاه

لمـــــسةٌ ســـــاحرة مـــــن كَفِّـــــه

عـــــاد منهـــــا الكهـــــفُ محـــــرابَ صـــــلاة

***

قلـــــت: أشـــــكو مـــــن تبـــــاريح النَّـــــوَى؟

قـــــال: لا، لـــــيس ذا وَقْـــــتَ الـــــشَّكَاة

حـــــسبنا أنـــــا التقينـــــا فـــــاغفري

لزمـــــان البـــــين مـــــا اغتالـــــت يـــــداه

قلـــــت: أخـــشى مـــا طـــوى مـــن غـــدره

ليـــــت مـــــا ذُقْنـــــاه منـــــه قـــــد كفـــــاه

قـــــال: خَلِّـــــى هَـــــمَّ أمـــــسٍ وغـــــدٍ

أمـــــسُ قـــــد ولَّـــــى ولـــــم تـــــأتِ الغَـــــداه

قلـــــت: مـــــا أدري، أحُلْـــــمٌ مـــــا أرى

أم بُعِثْنا...

وانتهـــــــــى الـــــــــصوتُ وتـــــــــاه

وصَـــــــــحَوْنا، فـــــــــإذا تلـــــــــك رُؤَى

بعثرتهـــــا الـــــريحُ فـــــي تِيـــــهِ الفـــــلاه

وإذا نحـــــــن كُمـــــــا كُنَّـــــــا هُنـــــــا

فـــــي قـــــرارِ الكهـــــفِ لـــــم تُفْـــــتَحْ كُـــــوَاهْ

نَلْعَـــــقُ المُـــــرَّ ونَقْتـــــاتُ الجَـــــوَى

عافنـــــا المـــــوتُ وعافتنـــــا الحيـــــاة

شوشاي ١٩٦٦/٩/٩

١٥- بعد عـــــام[١]

ومضى عامٌ وما زلتُ هنا
أَنْقُلُ الخَطْوَ،
على الجسر إليكْ...
مرت الأيام تغذوني الجوى
كيف لم أهلِكْ أسًى
حزنًا عليك؟

(١) بنت الشاطيء، د. عائشة عبد الرحمن: على الجسر بين الحياة والموت. ص١٥٤.

كلما قلتُ دنا ميعادُنا
خانني الظن..
ولم أرحل إليك
مزقت أيدي المنايا شملنا
وأراني دائما ...
بين يديك !
***
هل مضى عام؟
أما كنتَ هنا
منذ يومٍ فاتَ كالدهر الطويل؟
لم نَزَلْ في حَيرْةٍ من أمرِنا
هل مضى عامٌ على يوم الرحيل؟
وصدى نَعْيِكَ في أسماعنا
لم يَزَلْ يدوى، فيغشانا الذهول
***
عامُنا،
قد كان دهرًا من عذاب
ولئن خلناه كالحلم الرهيب
دربُنا،
قد صار كالقفر اليباب
غيرَ طَيْفٍ منك ، عنه لا يغيبْ
دارُنا ،
لم يبق فيها من ثقاب
غيرُ رؤيا لمحةٍ فيها تئوب !
***
طيفُك الماثلُ يحدو خطوتي
نحو مَثْوًى لك،
دانٍ، وبعيد...
هاتفًا أن أحتمي في وَحْشتي

بِيَقينِ المُلْتَقَى
خلفَ السدود
لحظةٌ تأتي فتُنْهى محنتي
بالتئام الشمل،
في دار الخلود...
لحظة تنسخ ما كابدته
من عذاب البين،
من رفض الحياه
من وجودٍ عافني أو عِفْتُه
عاثَ فيه اليأسُ
واغتال مُناه!
****
لم تَغِبْ رؤياك عني في الدجى
وحديثي كُلُّه
عنك ... ولك!
وأناجيك فيرتدُّ الصَّدَى
من بعيدٍ،
سائلا عني وعنك:
كيف أبقى بعد إيغال النوى
وحياتي سِرُّها،
فيك... وبك؟
****
هل مضى العام وما زلتُ هنا
أنقُلُ الخَطْوَ
على الجسر إليك؟
أبأنفاسك أحيا أم تُرَى
مات بعضي،
وبكى بعضي عليك؟

مصر الجديدة ٩ مارس١٩٦٧

١٦- أغنية للذكرى[١]

لا تَخَلْ أنَّا على بُعد المزارْ
قد سَلَوْنا أو نَسِينا عهدَنا
أو غفونا بين ليلٍ ونهار
ننشد الصبرَ ونأسو جُرْحَنا
أو تعبنا من سهادٍ وعذاب
فالتمسنا مهربا من بؤسنا
أو مَلَلْنا من ضياع وسراب
فابتغينا راحةً في يأسنا

***

لا تخَلْ أنَّا على مرِّ الزمَنْ
قد عرانا الضيقُ من أطلالنا
أو عيينا ببقايا من دِمنْ
لا تَنِي تبكى على ماضٍ لنا
سائلات في وجوم وشجنْ،
أين مَغْنَانا الذي كان هنا؟

***

ما دَرَتْ تلك البقايا أنها
رجَّعتْ فينا صدَى أشجاننا
ما دَرَتْ أنَّا حُطامٌ بينها
لا ترى فيه سوى أشلائنا

***

قد يرانا يومُنا كالناس نمشى
ما علينا من خُطانا،
أو يرانا ليلُنا كالناس نأوِى
وأَسَانا قد طَوَانا

---

(١) بنت الشاطيء، د. عائشة عبد الرحمن: على الجسر بين الحياة والموت. ص١٥٧.

* * *

ربما نلعق من جوعٍ طعاما
والشَّجى سَدَّ لَهَانا

* * *

ربما نجرَعُ في القيظ، شرابا
والجَوَى يكْوِي حَشَانا
ربما نأخذ في لغوِ حديثٍ
ما نراه قد عَنانا،
ربما نَلْبَسُ للناس قِناعا
ساترًا عنهم أَسانا
ربما جُنَّتْ بنا أشواقُنا
فكتمنا ما بنا
عمَّن سوانا،
ربما استنفد دمعًا شَجْوُنا
فانكفأنا نصطلي،
جمْرًا كَوَانا

* * *

غيرَ أنَّا يا حبيبي، ما نَسِينا
وإلى لُقياك تحدونا خُطانا
ورؤانا

٢١ مارس ١٩٦٩

١٧- كلمات للذكرى[١]

١

ما علينا
أشربْ الكأسَ ولا تُبْقِ ثماله
ما علينا،
يستوى حُلْوٌ ومرُّ

***

وافترضْ أنَّا رفضنا شُرْبَها
هل يبالي رفضَنا ، دهرٌ يمرُّ؟
هَوَّنَ المُرَّ علينا أننا
قد جرعناه طويلا ،
قطرة في إثر قَطرَهْ،
ومضى الدهرُ علينا لاهيًا،
غافلًا، لم يُلْقِ نظرَهْ
فَلْنُسِغْ من كأسِنا هذي الثُّمالَه
يستوى حلوٌ ومُرُّ...

***

طال مسرانا ولم تَبْق ذُباله،
ما علينا،
يستوى ليلٌ وفجرُ
عبثًا نرجو شعاعًا من ضياءْ
ينسخ الظلمة من ليلٍ بهيمْ
غاب عنا نجمُنا ذاتَ مساءْ
وسرينا بعده نرعى السرابْ
وتَعَلَّلْنا برؤيا في المنامْ
ومضى عامٌ، وعامٌ إثْرَ عامْ
ما مَلَلْنا،

---

(١) بنت الشاطيء، د. عائشة عبد الرحمن: على الجسر بين الحياة والموت. ص١٦٠.

إنما مَلَّ السرابْ
فتوارى يائسًا منا وذابْ
في سراديبِ غَمامٍ وضبابْ
وخَبَا ما كان من وهمٍ عقيمْ
***
وافترض أنَّا شَكَوْنا أو دَعَوْنا
هل يبالي التيهُ شكوى أو دعاء
أو يرى فينا، سوى بعضَ هشيم؟
ضَلَّ مَسْرانا ولا ضَوْءَ ذُبالة
ما علينا
يستوى ليلٌ وفجرُ
٢
لن نرى في اليَمِّ مَرْسَى
غيرَ وهمٍ وضلاله
ما علينا
يستوى برٌّ وبحرُ
***
أيُّ مَرْسًى لغريب
زاده يأسٌ وقهرُ
كلما نادى أُجيب
غَيَّبَ الملاحَ قبرُ
ليس يُرجَى أن يئوب،
فإلي أين المفرُّ؟
***
تاه في اليم الطريقْ
أينما وَلَّيْتَ واجهتَ الضياعْ
صارع الأمواجَ ،
ما جدوى الصراعُ؟
مزَّقَ النوءُ الشراعْ

وهوى المجدافُ في قاعٍ سحيقْ

***

وافترضْ أنَّا التمَسْنا

من دمارٍ أي مخبأً،

فيمَ مسرانا بليل

غاب فيه كلُّ مَرْفَأ

واستوى بحرٌ وبرٌّ

واستوى مدٌّ وجزْرُ

٣

كل دنياك ضياعٌ واغترابْ

واكتئابٌ، ومَلاله

ما علينا

يستوى رفضٌ وصبرُ

***

عاتبِ الأَقدارَ

ما جدوى العتابْ

وأمانينا حطامٌ ، ورُفاتٌ وتراب

يستوى نفعٌ وضرٌّ

***

وافترضْ أنا هربنا

من جنونٍ وخَبَالْ

هل لدى العقلِ جوابٌ

عن سؤالٍ، وسؤالٍ، وسؤالْ؟

هل درى أين المفرُّ؟

أو رأى في اليَمِّ مَرْسَى،

غيرَ وَهْمٍ وضَلالَه؟

***

فَاسْرِ في التيهِ فلا ضوءَ ذُباله

يستوى ليلٌ وفجرُ

واشربْ الكأسَ ولا تُبْقِ ثُمَالة
يستوى حُلْوٌ ومُرٌّ!..

٢٦ مارس ١٩٧١

١٨- عود على بدء[١]
كلما قلنا بَرِئْنا
من جراح القهر باليأس العقيمْ
واسترحنا
واستوى خيرٌ وشرٌّ
واستوى رفضٌ وصبرُ
حومَّت مصرُ على أشباحنا
تَنْبِشُ الأَنقاضَ عن جُرْحِ الهشيم
أحيت الهامدَ من أشجاننا
واستقرَّت موغلات في الصميم،
وكأنَّا ما يَئِسْنا،
وانطوينا، وانتهينا
***
كلما قلنا: اكتفينا
بالذي قد كان
مِنْ وَهْمِ السرابْ
ومع التيهِ سَرَيْنا.
في كهوفٍ من ظلامٍ وضبابْ
واستوى ليلٌ وفجرُ
واستوى أمنٌ وذُعْرُ
عادت الروحُ فشدتْنا إليها
بِوَثاقٍ، من حنينٍ ووَلاءْ
وأتانا صوتُها عبرَ الخَواءْ

(١) بنت الشاطيء، د. عائشة عبد الرحمن: على الجسر بين الحياة والموت. ص١٦٥.

مِلْؤه شَجْوٌ ولومٌ وعتابْ،
فَاشْرَأَبَّتْ نحوَها أرواحُنا
وكأنَّا ما اغتربنا،
وانسحبنا، وانتهينا
***
كلما قُلْنا فَرَغْنا،
من معاناة جنونٍ وصراعْ
وأكاذيبِ الأَماني
ودعاءٍ لا يُجابْ
وتَمَزَّقْنا حُطامًا
إثْرَ ما وَلَّى وضاعْ
وغفونا، أو غفت أشلاؤنا
بأَكفِّ الموجِ في طَيِّ العُبابْ
واستوى بحرٌ وبرٌّ
واستوى مدٌّ وجَزْرُ
جاء من عمق الدياجي طيفُها
يجمع الأَشلاءَ من يمِّ الضياعُ
وكأنَّا ما انحطمنا
وانسحقنا، وانتهينا.
***
كلما قُلْنا، جَرَعْنا
كأسَنا، لم نُبْقِ قطره
وأَسَغْنا كلَّ ما سِيطَ بها
من نَقيعِ السُّمِّ، من صابٍ وحنظلْ
وتداوينا منها بها ،
عَلَلًا نَجْرَعُها بعد نهلْ
واستوى صَحْوٌ وسُكْرُ
واستوى حلوٌ ومُرُّ
خايلتْنا في دياجيرِ الغلسْ

برؤى النبع الإلهيِّ المقدسْ
وبيمناها تراءت كأسُها
ذَوْبَ نورٍ ونقاءٍ ،
ورحيقٍ لم يُدَنَّسْ
وبها طافت على أبنائها
في ثرى سَيْنا، على شط القناةْ
وسقتهم جَرْعةً من تِرْياقِها
عوذتهم برُقاها الطيباتْ
أن يُسيغوا ما أَسَغْنا من قَذَى
أو يُطيقوا ما أَطَقْنا من عذابْ
جَدَّدَتْ فيهم خلايا خِصْبِها
ورأتْ سِحْرَ صِباها والشبابْ
وكأنَّا ما هَرِمْنا،
وعَقُمْنا ، وانتهينا

٢٥ يونية ١٩٧١

١٩- أغنية العيد[١]

نشرت بجريدة الأهرام ٢٨ فبراير ١٩٦٩(أرشيف الأهرام مج ٣)

عيدُنا كان على طول المدى
يملأ الأفْق بهاءً وسنا
كلما هَلَّ احتشدنا للقائه
ونَهَلْنا الأُنْسَ من فيض عطائه
وشدونا والدُّنَى تُصْغي لنا
(ربنا لبيك إن الملك لك)

الملايينُ على مر الزمنْ
من حجازٍ وعراقٍ ويمنْ

(١) أعيد نشرها في جريدة الأهرام بتاريخ ٩ إبريل ١٩٩٨.

من ربا الشام وبيت المقدسِ
من ضفاف النيل حتى الأطلسي
كم رآها العيدُ في يوم مِنى
تلتقي روحًا وقلبًا ومُنى
بهتاف العيد يعلو في الفضاء
(ربنا لبيك يا نور السماء)

نور إيمانها كان الدليلْ[1]
في عصور المجد والليل الطويل
قاد مسراها فلم تفقد خطاها
وحَدا الأجيالَ منها وهداها
وهي تشدو بدعاء المصطفى
يوم عيد الفتح في أم القرى[2]
(ربنا لبيك إن الحمد والنعمة والشكر لك)[3]

ووعى التاريخُ أمجادًا لنا
ورآنا نغلب الكثرة من أعدائنا
غيَّر الإيمانُ ميزان القُوَى
يوم جالوتَ وفي مرج دابق[4]
وانتصرنا في الجزائر
يومها رجَّعت آفاقُنا
كلماتٍ لم تزلْ في سمعنا[5]**:**
"يا محمد مبروك عليك

---

(1) كسر عروضي في تفعيلة الرمل حيث نقصت التفعيلة الثانية سببا خفيفا من أولها، وتستكمل بجعل العبارة-مثلا- : نور إيمانٍ بها كان الديلْ.

(2) حين أعادت نشرها عام ١٩٩٨ استبدلت بكلمة" الفتح" كلمة "النصر".

(3) وفي نشرة سنة ١٩٩٨ أيضا جاءت التلبية" إن الحمد لك" فقط.

(4) وفي نفس النشرة جاء هذا السطر: "يوم بدر يوم عكا والقادسية".

(5) في نشرة ١٩٩٨ جاء هذا السطر: "نغما لما يزل في سمعنا".

الجزاير رجعت ليك"

عيدنا اليوم جهاد وغضبْ[1]
يرفض الأُنْسَ ويجفوه الطرب
جرحه ينزف من جرح الحمى
فَيُحيلُ الشهدَ مُرًّا علقما
وطأة السفاحين أعداء البشر[2]
دنست أرض الرسالات الكُبَر
شوهت وجه الحياة
مسخت كل القيم
واستباحت حرمة الإنسان
في قدس الحرم

عيدنا ثأر ألوف الشهداء
وملايين الضحايا الأبرياء
ومآسي اللاجئين الغرباء
وبطولات الجنود الشرفاء
وهو ذكرى من مضى
من أحبابنا[3]
وحديث الغد عنا[4]
لبنينا بعدنا
لن يقولوا إننا في أعيادنا
قد لهونا أو نسينا ما بنا
لن يقولوا إننا نِمْنا

(١) وفي نفس النشرة استبدلت بكلمة" جهاد" كلمة "رباط".
(٢) تفعيلة الرمل الثانية مكسورة.
(٣) تفعيلة الرمل الثانية مكسورة.
(٤) في نفس النشرة استبدلت بكلمة"الغد" كلمة " العيد".

على ضيمٍ بنا
نتسلَّى بحكايا
من هنا أو من هنا[1]
وفكاهات ألِفْنا مضغها
نُبْعِدُ الهَمَّ بها عن بالِنا
لن يقولوا إننا في عيدنا
قد غفونا لحظة عن مأساتنا
وكأنا لا نعي أبعادها
وكأنا لانرى آمادها

عيدنا ثأر ألوف الشهداء
وملايين الضحايا الأبرياء
ومآسي اللاجئين الغرباء
وبطولات الجنود الشرفاء
وهتاف بدعاء المصطفى
يوم عيد النصر في أم القرى:
(ربنا لبيك
إن الحمد والنعمة والشكر لك)[2]

٢٠- أمتي: الله لك
نشرت بجريدة الأهرام أول أكتوبر ١٩٧٠
أمتي: هذا شهيدٌ قد قضى،
أيُّ شهيد!
كان رمزًا لعطائك ولواءً لنضالك
وملاذًا لرجائك
ومضى، كيف مضى!

---

(1) في نشرة ١٩٩٨: أو هاهنا".

[2] في نشرة ١٩٩٨: "ربنا لبيك إن الحمد لك، والملك لاشريك لك، لبيك إن الملك لك".

من قديمٍ طالما اشتقتِ إليه
وانتظرتِ مولدَه
مثلما صاغت رؤاكِ
وكما شاءت مُناكِ
وعلى مَرِّ أيام شحيحاتٍ عجاف
وليالٍ كالحاتٍ مظلمات
طال انتظارُك
دون يأسٍ أو ملل
قصةُ التاريخ كانت
ملءَ سمعِك
ورؤى التاريخ كانت
ملءَ وعيك
تُرْهِفُ المذخور من طاقة خصبك
ريثما جاء البطل..
جاء تحقيقًا لذاتك
بعد وهم أقنع الدنيا بعُقْمِك
وبدا غيرَ مرجو منكِ
أن تأتي بمثلهْ
جاء يُرضي كبرياءَكْ
ويداوي جرح قهرك
فملأتِ العين منه والضمير
ثم سلمتِ إليه
كلَّ ما خفتِ عليه
من تراث، ووجود، ومصير..
وتجَلَّى فيه كلُّ ما أعطيتِه
من شموخِ الكبرياء
وجلالِ الأُصَلاء..
وصمودِ الثائرين الشرفاء

ويقينِ المؤمنين الأقوياء

ثم لَمَّا حَمَلَ العِبْءَ ثقيلًا وجليلا
صامدًا مستبسلًا، شهمًا نبيلا
وتناهى عندَهُ
كلُّ ما في طاقةِ حبك
ثَقُلَ العبءُ عليه،
عبءُ حبك
فتَفَانَى، ومضى..
كيف مضى!

أمتي، الله لك
أمتي، أيُّ شهيد
كان أغلى من رئيسٍ وزعيم
كان للشعب أبا
وصديقًا وحبيبا
ومضى، فإذا الشعبُ يتيم
أمتي، ما أفدح ثُكلك!
كل واديك حِداد
كل نبضٍ فيك حسرة
كل دارٍ فيك مأتم
حيث لايغني بكاء
حيث لا يجدي عزاء
غير أن يحيا شهيدُك
بحياتك
والله لك

٢١- من ذرا عرفات إلى سفح المكبر

نشرت في جريدة الأهرام (عام ١٩٧١غالبا)

-١-

من فجاج الأرض حجوا عابدين
وعلى عرفاتِ قاموا خاشعين[١]
قد تناسوا ما على أرض البشر
من هموم وعداوات وشرّ
وتماحت بينهم كل الفروق
في حمى البيت العتيق
وانحنت هامُ الرعايا والملوك
للذي تعنو له كل الجباه
وإليه في علاه
رفعوا النجوى دعاءً وصلاة:
" ربنا لبيك... إن الملك لك"

خشع الكون لمرأى المؤمنين
مذ أَهَلُّوا مُحْرِمِينْ
عيدُهم حجٌّ وسعيٌ وفداءْ
وأمانِي عمرِهم هذا اللقاء
يومُ عرفة
ليلبوا ضارعين:
وحدك اللهم نعبد
ولك اللهم نسجد
وعلى نورك يا رب محمد
كل مسعانا لِدُنْيا ولِدين

-٢-

[١] لتصح تفعيلة الرمل الأولى تسكن الراء وتمنع من التنوين "عرفات" فتكون: "عرْفاتِ".

وعلى سفح المُكَبِّر، عند أولى القبلتينْ
ثالثِ الأقداس، صِنْوِ الحَرَمَيْن
في جوار المهد من أرض السلام
نشر الشيطانُ طاغوت الظلام
ومضى يَعْوِي ويزأرْ
وتوارى القدسُ في جوف الدجى
بائسَ الأطلال محجوبَ السنا
يسأل الأنقاضَ: أنَّى الموعد
لِيُطِلَّ الفجرُ من ذاك الخراب؟
أين مسرانا وأين المعبد؟
ثم لا رَدَّ سوى رجعِ الصدى
وعُواءُ الوحشِ من مرعى الذئاب
وعلى المهد المُسَهَّد
غصنُ زيتونٍ يتيمْ
وبقايا من هشيمْ
وصدى صوت بعيدٍ يتردّدْ
من ذرا عرفات إلى سفح المكبر:[1]
" الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر
وحدك اللهم نعبد"
وعلى مسرى محمد
بجوار المهد من أرض السلام
ينشر الشيطان طاغوت الظلام
ويعربدْ...

[1] التفعيلة الثانية مكسورة.

٢٢- دعاء

نشرت بجريدة الأهرام ٢٧ إبريل ١٩٧٢(أرشيف الأهرام مج ٤-٥)

ليلةَ المَوْلِد جودي بعطائكْ
وامنحينا زادَنا من عِبْرتك
أشرقي بالنور في تيه سُرانا
ذَكِّرينا بالذي قاد خطانا
واجمعي أشلاءنا تحت لوائك...

ليلةَ المولد فيضي بالسَّنَا
لِنَرَى أين الطريق
فلقد ضاع الطريق...
وضِباعُ الغابِ تَعْوي حولَنا
وخطا الشيطان تعدو إثرنا
فأنيري في دُجانا ليلَنا
قبلَ أن نَهْوِيَ في القاع السحيق...

ليلة المولد ما غاب الدليلْ
حادي الركب إلى شط النجاة
إنما تُهْنا، وأخطأْنا هداه
فتشردنا حيارى ضائعينْ
نخبِطُ العَشْوا على غيرِ سبيلْ
وتمزقنا فلولا،
عن يسار ويمينْ...
نمضغ الأوهامَ نستجدي الحياة
ملءُ دنيانا دماءٌ وركامْ
من ضحايا
للمذابح والمجازر

والبقايا،
زادهم قهرٌ وحسرة
فانسَخي يا ليلةَ النور الظلام
لا تَمُرِّي خُطْبَةً فوق المنابر
أو نشيدًا في الحناجر
دونما درسٍ وعِبْرةْ
ذَكِّرينا بالذي قاد الخطى
وهدى الأبصارَ منَّا،
والبصائر...
رَجِّعي في ليلِنا صوتَ الهُدى
يوقظ الأرواح فينا،
والضمائر...
زودينا بعطائه،
واجمعي أشلاءنا
تحت لوائه

٢٣- هل هلالك

نشرت بجريدة الأهرام ٢٧سبتمبر ١٩٧٣(أرشيف الأهرام مج٤-٥)

أَقْبَلَ الموسمُ يا شهر الهدى
يوقظ الأرواح في كهف الرقودْ
ويفك القيد عنها والوثاقْ
فأفقنا من غيابات الكرى
بعد أن طال هجوعٌ وخمودْ
وانطلقنا في سراحْ وانعتاق
نعبر الأسوار نجتاز الحدود
لنرى أبعاد ما حاق بنا

حين تُهْنا، بين ليل ونـهارْ

وعلى مشكاة نور من هلالِكْ
بازغًا يحدو سُرانا في الغَلَسْ
بأذان الفجر من غار حراء
شارفت أرواحُنا أُفْقَ جلالِك
ورأت فيك هداها والقبس
بعد أن ضلت خطاها
في سراديب الخواء
دون حادٍ أو مَنار

أين يا رمضان أُنْسُ الملتقى
في لياليك الخوالي النيرات
أين منا القدسُ يا شهر الهدى
أين سينا، أين يافا، والخليل
والضفافُ الطيباتُ العامراتْ
والهضاب السامقات الشامخات؟
أين ما فيها جميعا
من قرانا والمساجد؟
والمآذن والمنابر
والمسامر والمشاهد
وحشودِ الساهرين العابدين؟

أين أحلامُ الصبايا وأمانيُّ الشباب
وفوانيس الصغار الهازجين السعداء
أين أهلونا بها؟ والنازحون الغرباء
في خيام اللاجئين البؤساء

وسجونِ الشرفاء الأبرياء
وقبورِ الباذلين الشهداء؟

أترى يجمعنا على نَأْي المزار
نورُك البازغُ من كهف المحاق
ينسخ الليل بآيات النهار
ويفك القيد عنا والوَثاق
من رُقَى الوهم وغَشْيات الخُمار

٢٤- نور الكلمة

نشرت بجريدة الأهرام ٩سبتمبر ١٩٧٧(أرشيف الأهرام مج٤-٥)

بعد ليلٍ حالكٍ أعمَى بهيمْ
مطفأ الأنجمِ مشلولِ الخُطَى
جاهليٍّ، تائهٍ ضالِ السُّرَى
أشرقت "اقرأْ" على خير الورى
فإذا الكون ضياءٌ وخشوعٌ وسَنا
بدعاء المصطفى الأمِي اليتيم

نورها البازغ من غار حراءْ
نسخ الظلمة في التيه السحيقْ
شاهت الأصنام في البيت العتيق
فتجلى ما طَوَتْ
من مجد ماضيه العريق
فإذا الكعبة في أَوْجِ البهاءْ

فَجْرُها الصادقُ في أمِّ القُرى
آذن الدنيا بميلادٍ جديدْ

بعد عُقْمٍ مُزْمِنٍ، صَلْدٍ عنيدْ
أعجز الكهان، لم تُجْدِ رُقَى السحر العتيد
رُدت الروحُ إليها ببعث المصطفى
آيةُ "اقرأ" كانت لها بَعْثًا وبُشرى

آية الإنسانْ:
من أي شيءٍ قد خُلقْ؟
من علق
مثلَ جُرْذٍ، مثلَ هِرٍّ: من علق
مثل ذئب، مثل قرد: من علق
مثل بغل وحمار: من علق
وحدَه الذي منَّ عليه مَنْ خلق
خَصَّه بالآية الكبرى:
آيةِ "اقرأ باسم ربك الذي خلق"
آيةِ الإنسان
خصه خالقُه، ما أكرمَهْ
بالذي يسمو به على ما قد خلق
أنْ " عَلَّمَهُ"
وحدَه يعرف سِرَّ الحرف، كَسْبَ العلم
ويدري ما الكتابُ وما القلمْ

وحدَه الذي منَّ عليه مَنْ خلق
أن كَلَّفَهُ
وفي الأرض استخلفه
دون سائرِ ما خلق
وقضى أمره، جل علاه،
على كل مَلَك:

أنْ "اسجدوا لآدمَ"
وله سخَّرَ ما في الأرض والفَلَكْ
وهو المخلوق كالجرذان، كابن آوى:
من علق

ثم كانت غايةُ التكريم لَهْ
اصطفاءُ اللهِ يتيمًا مِنْ علقْ
خاتمًا للرُّسْلِ، صفوة مَنْ خلق
صِفةُ التكريمِ أنَّ كتابًا معجزةٌ
أنَّ أُولى آياته:
"اقرأ باسم ربك الذي خلق
خلق الإنسان من علق
اقرأ وربك الأكرم
الذي علم بالقلم
علم الإ نسان ما لم يعلم"

نورها البازغ في غار حراء
نسخ الظلمة من ليل العماء
فَجْرُها الصادق في أم القرى
كان للإنسان ميلادا وبشرى

٢٥- رسالة إلى شهود الموسم[١]

من أبنائنا شباب الأمة في معركة صراع القيم وتحديات وجود ومصير
نشرت بجريدة الأهرام ٢٣ مايو ١٩٩٦(أرشيف الأهرام ، مج ٤-٦،٥-٧)

أهلَنا الحُجَّاجَ من شرقٍ
ومغربْ
يا ضيوف الله في أم القرى
وضيوفَ المصطفى
في روضِ يثربْ
سلَّمَ الله عليكم
وهنيئا عيدُكم
في حمى البيت الحرام

أهلَنا
نحن أيضا كم وَدِدْنا
أننا كنا هناك
مُحْرِمينَ طائفينَ عابدين
نَجْتَلي نورَ الحرم
نرتوي من نبع زمزم
ثم نسعى زائرين
مُرْهَفي الشوق إلى مثوى الحبيب
صلوات الله عليه والسلام

أهلَنا
هذه الرحلة كانت في الصبا

(١) نشرت بجريدة الأهرام عدة مرات: في ٢٨ يناير ١٩٧٢ بعنوان" رسالة العيد" من جنود الجبهة إلى حجاج البيت الحرام-وفي ٢٦ يولية ١٩٨٨ بنفس العنوان- وفي يولية ١٩٩٠ بعنوان: من فتية الحجارة إلى حشود الحجيج.

مِلْءَ رُؤانا
قبل أن نبلغ تكليف الفريضةْ
قبل أن ندرك مغزاها عقيدةْ
في صبانا كَمْ شَجَانا
كلَّ موسم
موكبُ الحجاج من أهلٍ وجِيرَةْ
ومراسيمُ الوداع
وحشودُ الضارعين
يسألون الركب في يوم الرحيل
اذكرونا في مِنى
وعلى عرفات لا تنسوا الدعاء
واذكرونا في الحرم
واحملوا منا السلام
للحبيب المصطفى
خير الأنام

وبَقِينا في انتظار
كلما قلنا متى نذهبُ صحبة
مع ركب المؤمنين
قيل: صبرا
أنتم الآن صغارْ
وسيأتي دوركم
بعد سن الرشد، والعمر الطويل
حقق الله مناكم
وأتم النعمة الكبرى عليكم
نعمةَ الإيمان، نور دنياكم
ودين

أهلَنا

في صبانا كَمْ خرجنا
من قرانا والبيادر،
عندما تأتي البشائر
للقاء العائدين
بالدفوف والطبول،
والمشاعل والمباخر،
وملأنا الجو شدوا
بأغاريد الفرح،
وتحياتِ الوصولْ
وسهرنا الليل نُصغي،
بالقلوب والعقول
والضمائر،
لحديث الحاج عن أُنْسِ القبول
والمشاهدِ والمواقفْ
والمناسك والشعائر،
وازدحمنا حوله، نبغي القِرى
من هدايا وذخائر:
لمحةً من نور مكة،
جَرعةً من ماء زمزم،
نفحةً من عطر طَيْبَة
تمرةً من نخل يثرب
ونقول: الله أكبر،
يا هناه، حقق الله مناه
والحبيب قد دعاه
فمتى ننمو ونكبر؟

رحلة كانت لنا
حلم الصبا، وَعْدَ الشباب
قبل مأساة الهزيمة،

وكبرنا، فعرفناها عقيدة
عبَّأتنا للجهاد
دينا وعبادة

أهلَنا الحجاج
نعلم نحن وإن كنا ههنا أو ههنا
نرجم الشيطان جمرًا من غضب
ونلبي: الله أكبر
حيث يختال صهيونُ ويزأر
في حمى القدس، ويافا، والخليل
فوق جرزيم وجولان
على سفح المُكَبِّر
ويرانا حَفْنة من نفايات البشر

فاذكرونا أهلنا
اذكرونا في مِنى،
وعلى عرفات لا تنسوا الدعاء
بلغوا عنا الحبيب
أننا نرعى حماه
ونؤدي فرضنا
وعلى وعد اللقاء
عندما يأتي الأوان
وسلامًا أهلَنا حجاج مكة
يا ضيوف الله في أم القرى
وضيوف المصطفى خير الأنام
صلوات الله عليه والسلام

مصادر البحث ومراجعه

أولاً : المصادر :

١ – القرآن الكريم

٢ – جريدة الأهرام الأعداد :

١) بنت الجزائر، ١٦ أكتوبر ١٩٦٢.
٢) رؤيا، ١٣ أغسطس ١٩٦٦.
٣) بعد عام، ١٠ مارس ١٩٦٧
٤) أغنية للعيد، ٢٨ فبراير ١٩٦٩
٥) أغنية للذكرى، ٢١ مارس ١٩٦٩
٦) أمتى الله لك، أول أكتوبر ١٩٧٠
٧) حكمات للذكرى، ٢٦ مارس ١٩٧١
٨) من ذرا عرفات إلى سفح المكبر، ١٩٧١
٩) عود على بدء، ٢٥ يونيه ١٩٧١
١٠) رسالة العيد، ٢٨ يناير ١٩٧٢
١١) دعـــــاء، ٢٧ أبريل ١٩٧٢
١٢) هل هلالك، ٢٧ سبتمبر ١٩٧٣
١٣) نور الكلمة، ٩ سبتمبر ١٩٧٧
١٤) رسالة العيد، ٢٦ يوليه ١٩٨٨
١٥) رسالة العيد، يوليه ١٩٩٠
١٦) رسالة العيد، ٢٣ مايو ١٩٩٦
١٧) أغنية للعيد، ٩ أبريل ١٩٩٨

٣– مجلة الأسبوع : قصيدة "زوجة الصياد" ع ٢٤ الأربعاء ٩ مايو ١٩٣٤.

٤ – على الجسر بين الحياة والموت، سيرة ذاتية. الهيئة المصرية العامة للكتاب . ١٩٨٦– وطبعة مكتبة الأسرة ٢٠٠٣.

٥ – مجلة النهضة النسائية : الأعداد

١) كلمة إلى زعيمة الشرقيات، ع ١٠ أكتوبر ١٩٢٨، السادسة.
٢) الحنان، ع ٥ مايو ١٩٣٢، السنة العاشرة.

٣) لست أدرى، ع ٧ يوليه ١٩٣٢، العاشرة.
٤) زوجة الصياد، ع ٩ سبتمبر ١٩٣٢، العاشرة.
٥) الحورية الأرضية، ع ٣ مارس ١٩٣٣، الحادية عشرة.
٦) الوداع، ع ١٠ أكتوبر ١٩٣٣، الحادية عشرة.
٧) وحى الشاطئ، ع ٩ سبتمبر ١٩٣٤، الثانية عشرة .
٨) تهنئة للملك فؤاد الأول، ع ١٠ أكتوبر ١٩٣٤، الثانية عشرة.
٩) وحى الشاطىء، ع ١٠ أكتوبر ١٩٣٤، الثانية عشرة.
١٠) وحى الشاطئ ، ع ١ يناير ١٩٣٥، الثانية عشرة .

ثانياً : المراجع :

١) د. أمين على السيد : فى علم القافية. مكتبة الزهراء – القاهرة ١٩٨٧.
٢) ابن خالويه ، أبو عبد الله الحسين بن أحمد : إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم تحقيق محمد إبراهيم سليم – مكتبة القرآن ١٩٨٩.
٣) أبو الفتح عثمان بن جنى: سر صناعة الإعراب دراسة وتحقيق د. حسن هنداوى دار القلم – دمشق – الطبعة الثانية ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م مج١.
٤) الزمخشرى، جار الله محمود بن عمر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل. شرحه وضبطه وراجعه يوسف الحمادى – مكتبة مصر جـ٢.
٥) د. على عشرى زايد: عن بناء القصيدة العربية الحديثة – مكتبة الشباب – القاهرة ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.
٦) فاطمة قنديل : التناص فى شعر السبعينيات – الهيئة العامة لقصور الثقافة – سلسلة كتابات نقدية ع٨٦ مارس ١٩٩٩م.
٧) د. محمد جمال صقر: علاقة عروض الشعر ببنائه النحوى مطبعة المدنى – الطبعة الأولى ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.
٨) د. محمد عبد المطلب: قراءات أسلوبية فى الشعر الحديث – الهيئة المصرية العامة للكتاب – سلسلة دراسات أدبية ١٩٩٥م
– قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجانى – الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان – الطبعة الأولى ١٩٩٥م.